مكتبتنا العربية

١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٧٠

١٣٣

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٦١٤
ثمن النسخة ٢٠ مليما

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعية
تصدر عن مشيخة الأزهر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
ملم
٤٠٠ فى وادى النيل
٤٠٠ للطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

القاهرة فى ١٦ جمادى الأولى ١٣٧٤ - ١٠ يناير ١٩٥٥ - الجزء العاشر - المجلد السادس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بين العلم و الثقافة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

العلم شىء ، والثقافة شىء آخر .

العلم عالمى ، لا تختص به أمة دون أمة . ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه . إنه مشاع كالهواء الذى نتنفسه ، والبحار التى تحيط باليابسة ، وتمخر فيها ألوف السفن حاملة مئات الأعلام .

ثم إن العلم تراث إنسانى ، ما من أمة إلا لها فيه جهاد وجهود ، وكل درجة ارتقاها العلم فى أى عصر من عصوره على يد أمة من الأمم فى بلد من بلاد الناس ، إنما كان ذلك بفضل درجة أخرى قبلها كان العلم قد وصل إليها فى عصر آخر قبل ذلك العصر وعلى يد أمة أخرى من الأمم فى بلد غير ذلك البلد الذى وصل العلم فيه إلى الدرجة التى تلى تلك الدرجة .

ولكن ما هو العلم ، وما هى الثقافة ، ولماذا كانت غير ، وكانت غير خيرها ؟

مكتبتنا العربية

العـــلم هو مجموعة الحقائق التى توصل إليها العقل البشرى فى مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ، والمحررة بالامتحانات المتكررة ، فلا تختلف بتفاوت الأذواق ، ولا تتغير بتطور المصالح . إن جدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة فى القدم ، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب فى كل وطن وفى كل زمن . ولولا ما كان معروفا قبل العرب والمسلمين من علم الحساب لما توصل العرب والمسلمون إلى إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة . ولولا علم الجبر والمقابلة الذى توصل علماؤنا إليه قبل مئات السنين لما تقدمت فى العصور الأخيرة العلوم الرياضية الأخرى التى وصلت بها الأعمال الهندسية إلى ما وصلت إليه الآن من التقدم . فالعلوم الرياضية والحقائق الهندسية من العلم العالمى المشاع بين البشر ، والذى اشتركت عقول البشر فى تقدمه وارتقائه منذ العصور العريقة فى القدم ، ولا غضاضة على أمة فى أن تطلب العلم به حيث تجده . وكذلك الطب وعلوم الطبيعة وكل ما تمس إليه حاجة الأمم فى قوتها وأسباب عزتها وتوفير حاجات أوطانها . والمسلمون على الخصوص يوجب عليهم دينهم أن يتعلموا ما تدعو حاجتهم فى مرافقهم إلى تعلمه من العلوم التى إن لم يحذقوها تولاها عنهم الأغيار ، وكان جهلهم بها من أسباب ضعفهم القومى والملى .

هذا النوع من المعارف الإنسانية هو العلم ، وهو واحد فى كل أمة ، وهو اليوم سبيل القوة فى الحرب والسلم ، وهو الذى ينبغى للمسلمين أن يكون فيهم - دائما - العدد الكافى من العالمين به ليتولوا مرافق بلادهم بأنفسهم ، ويحققوا أسباب قوتهم الصناعية والحربية والاقتصادية بأيديهم ، وإذا لم يتحقق ذلك إلا بإرسال البعثات إلى البلاد التى تفوقت به فعليهم أن يوالوا إرسالها إلى أن يتوافر عندهم من أبنائهم رجال الكفاية لسد هذه الحاجة على قدرها .

ولكن هذا العلم شىء ، والثقافة شىء آخر .

الثقافة فى كل أمة لها لون قومى خاص تستمده من مألوفها ، ومن ذوقها ، ومن مواريثها الأدبية ، ومن ظروفها الجغرافية ، ومن ضروراتها الإقليمية ، وحاجاتها الاجتماعية . ولذلك نرى الثقافة الفرنسية تختلف عن الثقافة الألمانية ، بل نرى الثقافة البريطانية تختلف عن الثقافة الأمريكية ، مع اتحاد الأمتين فى اللغة والآداب . والصينيون يتفقون مع اليابانيين فى الكثير من المقومات ، وكلاهما يحرص المحرصين على أن تكون له ثقافته الخاصة ، وكلاهما فى حاجة إلى عضد قوى يستعينون به لمقاومة

مكتبتنا العربية

الاستعمار المحيط بهم من كل جانب ، ومع ذلك فإن اختلاف الثقافتين أنشب الحرب بين الصين واليابان سنين طويلة قبل الحرب العالمية الثانية وفى خلالها . ولو لم تكن الثقافة من الفوارق الجوهرية بين الأمم لكان من المعقول أن تتعاون الصين واليابان وتتحد وجهتهما وكانت تكون منهما حينئذ قوة رهيبة لعلها تكتسح الأمم ، وذلك ما كان ينذر به إمبراطور ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ويسميه « الخطر الأصفر » .

تاريخ الأمة من عناصر ثقافتها ، آداب الأمة من صميم ثقافتها ، أخلاق الأمة فى كل عصر من عصورها حلقة من سلسلة الأخلاق القومية التى هى من ميراث الماضى ، وقد يكون فى ميراث الأمة من أخلاق ماضيها الكثير من الخير والكثير مما ينافيه ، فعليها أن تصلح بخيرها المتوارث ما ينافيه من الأخلاق التى تحتاج إلى إصلاح . فإذا حاولت الأمة أن تتنكر للطيب من تراثها الأخلاقى بتطعيمه بأخلاق أجنبية عنها أضاعت نفسها وفقدت أصالتها وصارت إلى هجنة تنافى الأصالة ويحتقرها الأصلاء من أصحاب تلك الأخلاق الأجنبية . وأذكر كلمة حكيمة لبسمارك كان قالها لغليوم الثانى لما كان لا يزال ولى عهد الإمبراطورية الألمانية حينما أرسلوه إلى روسيا ليمثل ألمانيا فى مناسبة من المناسبات ، فقد قال له بسمارك : إنك ذاهب إلى بلاد شرقية ، فإذا رأيت الشرقى المتمسك بزيه الأصيل فاعلم أنه لا يزال على ميراث من فطرة الشرق وأصالته ، وإذا رأيت الشرقى الذى لبس البنطلون تقليدا للغرب فاعلم أنه فقد مواريثه فى الفضائل ، ولم يكتسب أخلاق الغرب وفضائله .

إن القول الفصل فيما بين العلم والثقافة ، هو أن العلم عالمى ، والثقافة قومية وملية . والعلم لا لون له ، والثقافة ذات لون . وكذب أن فى الدنيا ثقافة عالمية ، ولا يمكن أن تكون فيها ثقافة عالمية . فعلى كل أمة أن تتمسك بثقافتها ، وأن تبعث فيها أسباب الحيوية بوصل مابين ماضيها وآتيها . خصوصاً نحن المسلمين الذين لانكون مسلمين بارتياد الجامع فقط ، ولا بتصحيح العقيدة فقط ، بل إن إسلامنا يتناول البيت كما يتناول الجامع ، ويفرض سننه وأحكامه على المجتمع كما يفرضها على الفرد . وسنن الإسلام وأحكامه مصدر كريم من مصادر ثقافتنا ، فلا يكفى أن نعرف كيف نصلى ، بل يجب أن نعرف كيف نكون أفراداً مسلمين فى مجتمع إسلامى ، وأن نعرف كيف نكون رعايا مسلمين لدولة إسلامية . ولو عرفنا هذه الناحية الأخيرة من ثقافة الإسلام لما قامت محاكم الثورة ، ولا ذر قرن الفتنة فى هذا البلد الإسلامى .

مكتبتنا العربية

وبعد فإن للإسلام - وهو الدين الاجتماعى - ثقافة واسعة شاملة فى هذه الأمور وفى كل الأمور ، ولولا أن دانلوب حرم المتعلمين فى مصر من أن يتعرفوا إلى ثقافتهم الإسلامية ، لمجرد مدارس الدولة منها ، لكان الجيل القائم الآن خيراً منه الآن ، ولقطعنا شوطاً طويلا فى طريقنا إلى القوة وإلى العزة وإلى السعادة والسلامة والعافية .

الأمل عظيم فى وزارة التربية والتعليم - بعد أن جعلت التربية العنصر الأول من عناصر رسالتها - أن تلتمس كل الأسباب للتعرف إلى التربية الإسلامية وتعريف الجيل بها ، لأن التربية من أهم عناصر الثقافة ، وما دمنا فى بلد إسلامى عربى فيجب أن تكون ثقافتنا إسلامية عربية ، وتربية أبنائنا تربية إسلامية عربية ، وهذا لا ينافى إرسال البعثات إلى أوربا وإلى أمريكا لتخريج مهندسين فى الطبقة الأولى ، وكيماويين وأطباء فى الذروة العليا ، وعلماء معادن وجيولوجيا من الطراز الأول ، لأن هذه المعارف من العلم العالمى الذى لا لون له ، ونحن فى حاجة إليها فى مرافقنا ، وتعدين معادننا ، واستنباط البترول من تربتنا ، وإصلاح زراعتنا وتوسيعها ، وتجهيزها بوسائل الرى والصرف ، وإقامة المصانع لكل ما نحتاجه فى حربنا وسلمنا . هذا العلم يجب أن نأخذه حيث وجدناه . أما المعارف التى لها لون قومى لأقوام غير أقوامنا ، ولها لون وطنى لأوطان غير أوطاننا ، ولها لون ملى لملل غير ملتنا ، فذلك مايسمى ثقافة ، ونحن فى غنى عنه بثقافتنا التى يجب أن نستمدها من مألوفنا ، ومن ذوقنا ، ومن مواريثنا الأدبية ، وظروفنا الجغرافية ، وضروراتنا الإقليمية ، وحاجاتنا الاجتماعية . ولهذه الثقافة مثل فى تاريخنا وتراجم أسلافنا ، فيجب أن نعرفها بمعرفتهم ، وأن ندرسها بدراسة تراجمهم ، وأن نحييها بالتخلق بأخلاق أهلها واتخاذهم قدوة لنا وأسوة .

نحن فى مرحلة انتقال ، ومن النصح للأمة أن نتعاون على معرفة الطريق الذى نسلكه إلى مرحلتنا الجديدة . وعندى أنه الطريق الذى يجمع بين تعلم كل ما عند غيرنا من العلوم العالمية التى لا لون لها ، والاحتفاظ بكل ما يحفظ علينا إسلامنا وعروبتنا ومصريتنا من الثقافة التى نحن أغنى أمم الأرض بها ، وما علينا إلا أن نستأنف دراستها وإحياءها والعمل بها ، ويومئذ تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٢٥ —

المتكلمون فى المهد

١ — بلى من أوفى بعهده واتقى
فإن الله يحب المتقين .
٢ — ومن يتق الله يجعل له مخرجا .

١ — كان الانقطاع عن الدنيا ، والتفرغ للعابد ، من خير ما يجنح إليه الأتقياء ، إذ كانت الرهبانية أمراً مشروعاً فى غير الإسلام .

أما ديننا فدين ودنيا ، وليس من تعاليمه الحتمية أن يهجر المسلم دنياه ، بل من تمام الدين أن يستجيب لله ، وألا ينسى نصيبه من الدنيا ، فإذا قام بما عليه من تكاليف العبادة ، وأدرك من دنياه مايصلح به شأنه وشأن من يعوله ، وأدلى بدلوه فيما يقتضيه صالح المجتمع ، فهو المؤمن المحسن ، والله يقول : (للذين أحسنوا : الحسنى وزيادة ـ العاقبة الحسنى ـ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ـ سواد ولا هوان ـ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) .

٢ — وطوعاً لمبدأ الرهبانية فيما سلف آثر جريج لنفسه أن يعتزل قومه من بنى إسرائيل ، ليعيش على التبتل ، ويعكف على الرهبنة كما كان مشروعاً من قبل ، فاتخذ صومعة نائية عن محلة قومه . وكانت أمه تعاوده بالزيارة كل يوم ، وعند ما تناديه يشرف عليها ، ويتناجيان حتى تطيب نفسها ونفسه ثم تنصرف .

٣ — وذات يوم جاءته وهو مشغول بصلاته ، فنادته فلم يجبها ، وآثر أن يفرغ أولا مما شرع فيه . . فلما لم يجبها للمرة الثالثة لم يرقها منه ذلك ، وكأنها ظنته زاهداً فى لقائها ، فلم يستجب لندائها ، ولم يسارع إلى نجواها ، فقالت غاضبة : (اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) . ويبدو أنها مع غضبها لم ترد له الهلاك ، ولم ترض له شراً فاحشاً ، فاكتفت له من المكروه برؤية وجوه لا يسره أن يراها ، جزاء تريثه فى رؤية أمه ، بينما هى مشوقة

مكتبتنا العربية

إلى رؤيته أسرع ما يمكن ، وأكثر ما يستطاع . وإذ كانت دعوة الأم فى رضاها ، ودعاؤها فى غضبتها ، مما لا يحجبه عن القبول حجاب ، فقد استجاب الله لأم جريج ، وابتلاه بفتاة كانت ترعى الغنم قريباً من صومعته ، فراودته عن نفسه ، فأبى ذلك خشية وكراهية ، فانصرفت عنه إلى أحد الرعاة ، وقد علقت من هذا الراعى وأتت بغلام . . فاهتاج قومها للحادث ، وسألوها عمن اقترفه ، فأقرت على جريج . . وكأنها تحرجت أن تذكر الراعى لما فى ذلك من حطة ، فضلا عن حطة الجريمة فى ذاتها ، أو كأنها تثأر من جريج لتعففه عنها بعد أن تعرضت له ، وكان إقرارها دافعاً للقوم إلى إيذائه ، وهدم صومعته ، ولم يستمعوا إلى براءته .

٤ — ولما بدا له أنهم سيسرفون فى النكال به ، توضأ وأتى بصلاة دعا فيها بما دعا ، ثم اتجه إلى الغلام الوليد وقال له : من أبوك ؟ فنزع الغلام فاه من ثدى أمه وأجاب قائلا : الراعى ، فبهر القوم منطق الرضيع ، وعرفوها مكرمة من الله لجريج النقى البرىء ، وألحوا فى الاعتذار إليه ، حتى عرضوا عليه أن يقيموا له صومعته من الذهب ، ولكنه اكتفى أن تعاد له من الطين .

٥ — وهذه قصة من القصص التى نطق فيها صبى فى مهده ، وإن كانت هذه فى التاريخ قبل قصة عيسى عليه السلام ، وهى تتفق فى غرضها العام مع قصة المسيح ، من تزكية الأطهار المكرمين ، وتبرئتهم من مفتريات الكاذبين ، وتشف عن نواح من العبرة .

٦ — منها أن جريمة الفحشاء مأساة خلقية جارحة حتى فى العصور البدائية ، بل لعلها فى تلك العصور كانت أسوأ وقعا ، وأبغض إلى النفوس منها اليوم ، حتى كأن مجرد النظر إلى وجه المومس بلاء كريه ، يدعى به على المسىء ، كما فعلت أم جريج حينما ظنت ولدها عافاها ، وأظن أمرنا اليوم دون ذلك الإحساس المرهف ، ونحن فى عصر المعرفة والحضارة ، وأعرف ممن سلفوا بما ترده من كرامة ، وشخصية ... و ... و ...

٧ — أن أم جريج لم تتثاقل عن رؤية ولدها وإن شق عليها مكانه فى صومعته ، وترى مما يبهجها أن تدلف إليه كل يوم ، ثم يسوءها منه أنه لم يقدر عطف الأمومة يوما ، ولم ينشط إلى ترويتها وإثلاجها بكلمات ، ولئن كان فى نفسه مشغولا بطاعة ، فالطاعة فقه فى

مكتبتنا العربية

الأم وفى الأب أحب من كل نافلة فى العبادة ، ولم تكن أمه تعرف ما منعه ، ولكنها تعرف أن شيئا ما لا يعدل أن يزهد الولد فى أمه ، فهى تغضب منه بحق ، وغضب الأم شؤم لا يطاق ، وهى أول منزلة من منازل الرحم الكريمة على ربها فى السراء والضراء .

٨ — ثم انظر إلى هذه الأم التى لم تسرف على ولدها فيما دعت عليه ساعة الغضب ، بل اكتفت برؤيته لوجه المومس ، وهى تعلم أن ذلك يسوءه ، وحسبها من عقوبته ذلك الأمر ، جزاء على تزهده فى رؤية وجه يشوقه ويسره أن يراه .

أهذه الأم وحدها هى التى وصفنا ؟ إنها للأمومة مطلقا ، ونزعة الأمومة من الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وإنما تضرب هذه الأمثال على لسان الأنبياء وفى الواقع ليهتدى من شاء الله له الهداية .

٩ — ثم انظر كذلك إلى أن دعاء الأم يقف عند حدود غضبها المحدود ، وأن الله لم ينكل به أكثر مما يرضيها ، وفى هذا الصنيع تكريم آخر للأم العطوف ، ولعلها لو زادت فى الغضب والدعاء لزاد الله فى الأخذ والنكال .

ولكن جريجا لم يسرف ، بل لم يقصد إلى إساءة أمه ، فكان من تكريم الله له أن يلطف به فيما تسرب إلى خاطر أمه ، وفيما جرى على لسانها ، وأن يفضح كيد المرأة الباغية عليه باتهامها له ، وهى تعلم أنه برىء .

وحاشا لله أن يضيع عبداً ركن إلى جانب الله فى إخلاص ، وهو سبحانه يقول فى كتابه : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

١٠ — وكانت امرأة من بنى إسرائيل ترضع طفلها على مقربة من الطريق ، فرأت رجلا ذا مظهر كريم ، والأم دائماً تطمح بابنها إلى كل خير تراه ، فاندفعت هذه بدافع الحب والأمومة ، وقالت : (اللهم اجعل ابنى مثل هذا) وفى علم الله أن الخير لابنها فى غير ذلك الرجاء ، وكان من كرمه بها وبابنها ألا يدع لذلك المظهر مكانا من نفسها ، فأنطق الله صبيها قائلا : (اللهم لا تجعلنى مثله) ثم عاد صبيها إلى رضاعه .

وما هى إلا فترة قصيرة ، ثم رأت الأم جماعة من الناس بينهم فتاة مهانة منهم ، ومظهرها

مكتبتنا العربية

فيهم يثير الأسى ، فانعطفت المرأة على طفلها وهى تقول : (اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه الفتاة) فترك الصبي ثدى أمه ثانية وقال : (اللهم اجعلنى مثلها) ثم عاد إلى رضاعه ، فكان أمره عند أمه عجباً فوق العجب ، إذ تراه ينطق فى مهده ، ثم تراه يخالف دعاءها له بالخير ، فاتجهت إليه وقالت : لم ذاك ؟ فأنطق الله طفلها بالعبرة النافعة لها وله .

قال الرضيع لأمه : أما الراكب الجبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون لها : سرقت ، زنيت ، ولم تفعل شيئا من ذلك !!

ووجه العبرة هنا ألا تأخذنا المظاهر ، وأن نرجع الأمر لله فيما يرجو الإنسان لنفسه أو غيره ، وفيما يرى من الأحداث.

وإذا طلب فليطمع فى الفضل من عند الله ، دون أن يستمد مطمعه من نعمة يراها على أحد ، فربما كان فى طيها بلاء لا يرضاه ، وربما شغلته كثرة الأمانى عن العمل ، أو حملته على الحسد ، ومنطق الصبي لأمه ليس أمراً تافها ، وإنما هو نموذج من التوجيه فى صورة عجيبة يسيرة ، لتركز فى الذهن ، وتستقر فى الوعى والخاطر ، وتلك الأمثال نضربها للناس .

وإلى العدد القادم إن شاء الله

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

العالم النصوح

ورد فى القول المأثور :

لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس :

من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة .

مكتبتنا العربية

نصرة الله لأوليائه

وتوفيقه لهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ؛ وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن : يكره الموت ، وأنا أكره مساءته .

رواه البخاري — وفي بعض الروايات : ولؤاده الذي يعقل به ، ولسانه الذي يتكلم به .

* * *

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الولاية ضد العداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب ، وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل : إن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها . والأول أصح . والولي القريب : فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه .

والولي كما يكون وصفاً للعبد يكون وصفاً للمولى جل وعلا ، « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ، وذلك أن الله يحب أولياءه كما يحبونه ، وينصرهم كما ينصرونه ، ويتقرب إليهم بالجود والإحسان كما يتقربون إليه بالعمل والإيمان — ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم — ؛ ومثل الولي في أصله الاشتقاق وفي المعنى وصف المولى « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم » .

وحقيقة الولاية قد بينها الله سبحانه وتعالى في قوله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، وهي حقيقة جامعة لكافة المؤمنين الصادقين ، ومراتبهم فيها هي مراتبهم في الإيمان والتقوى . وفي هذا يقول ابن تيمية : وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولو العزم ، وأفضلهم

مكتبتنا العربية

محمد عليه الصلاة والسلام . فقد تبين بهذا أنه إمام الأولياء ، كما أنه إمام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد بين هذا الحديث أيضاً حقيقة الولاية التي هي المحبة وما يناسبها ، إذ جعلها ثمرة للعمل بالفرائض ومضاعفتها والزيادة فيها ، وهو ما عبر عنه بالنوافل ، وبهذا يعلم أن لا تنافي بين ما في الحديث من كون أحب شيء إلى الله من عبده تقربه إليه بالفرائض وبين ما بعده مما هو خاص بالنوافل من حبه لعبده حتى يكون سمعه وبصره الخ ، فإن أحب شيء إلى الله هو هذا الجنس من العبادات المفروضة : كالصلاة والزكاة والصيام والبر والصلة وغير ذلك من أعمال الإسلام دون غيره من القربات المبتدعة المبنية على الحرمان من الرخص والمباحات ، كما ورد أن رسول الله ﷺ رخص في أمر فتنزه عن فعله قوم فخطب فقال « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية » رواه البخاري .

وأعلى ذلك الجنس ما أدى على جهة الزيادة ومضاعفة العمل والاجتهاد فيه ، مما يرجع إلى معنى النفل ، وهو (ما تفعله مما لم يجب) . فالنظر — على حد تعبير المناطقة — أولا إلى الكيف ، وثانيا إلى الكم — إن قبل هذا التعبير — . وإيذان الله أعداء أوليائه بالحرب معناه بطشه بهم وإهلاكه لهم ، وذلك لازم لحقيقة الإيذان ، التي هي الإعلام والإخبار . وهو سنة من سنن الله في هذه الحياة ، التي استقام بها ما استقام من أمر الأمم والجماعات منذ بعث الله للناس مبشرين ومنذرين « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ؛ وفي بعض الأحاديث القدسية تصوير ذلك بهذه الصورة التي تخلع لها قلوب أعداء الأولياء ، وتتزيل أعضاؤهم ، لو كانوا يسمعون : « وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب [1] » .

* * *

وتأويل هذه العبارات القدسية العالية : « كنت سمعه وبصره ويده الخ ، أني أكون له — والله أعلم — في إعلامه ما لم يعلم ، وتبشيره بما يحب ، كسمعه الذي يوصل إليه الأنباء

(١) بكسر الراء أي للغضاب .

مكتبتنا العربية

والمعلومات . فإذا ما استمع لم يلتبس عليه الحق بالباطل ، ولا الكذب بالصدق ، ولا الوسوسة بالإلهام .

وكنت له فى تبصيره ماخفى من الآيات ، وانهم من الدلالات ، ولطف من اللمحات ، كبصره الذى ينقل إليه صور المرئيات . فإذا ما أبصر وجد لله فى كل شىء شاهداً وآية ، وفى كل حركة وسكنة دليلا وهداية ، وفى كل وجود وعدم أثراً وإرادة .

وكنت له فى عمل مايحب ، وإنفاذ مايريد ، وتسخير ما يشاء ، وتذليل من يشاء ، كيده التى يبطش بها . فإذا ما امتدت يده إلى شىء انقاد لها عصيّه ، وأسلس أبيّه ، وإذا بطش بها لم يعجزه جبار عنيد ، ولا ذو بأس شديد ، لأنه إنما يبطش بيد الله وقدرته ، ويصول بحوله وقوته ، ويمضى مؤيداً بروح من عنده ، ويمدد من جنده ، وينازل ببأسه ، ويقضى بقضائه ، ويرمى بسهامه .

وكنت له فى الإيصال إلى المقاصد والمرامى ، وإدناء الغايات والأمانى ، كرجله التى يمشى بها ، فإذا ما سعى إلى غاية سعت إليه الغايات ، وانطوت لخطواته المهامه والمفازات ، وتواضعت لقدمه الجبال الشامخات ، والتأمت لها البحار الزاخرات ، وأيدته فيما يريد جميع الكائنات ، فانقادت لمشيئته الأسباب والمسببات ، وأمكنت لعزائمه الأمور المستحيلات . ذلك بأنه إنما يمشى بقدم الله ويمضى بتأييده ، وبأنه يخطو بنور الله ويسعى بتسديده ، ولأنه حين ذل نفسه لله وعبدها لوجهه ذل الله له كل شىء تذليلا ، وبعد أن أخضع قلبه لمولاه أخضع لمشيئته كل شىء وإن كان ممتنعاً مستحيلا . وفى الحديث القدسى : « عبدى أطعنى أجعلك ربانياً تقول للشىء : كن فيكون » .

وكنت له فى إلهامه الحكمة ، وإتيانه البصيرة والفطنة بما أنزل فى قلبه من نورى ، وما أبديه له من أسرارى ، كفؤاده الذى يعقل به المعقولات ، ويدرك به المدركات ، فإذا ما عرض له شأن كان لقلبه فيه فراسة وحكم ، وقضاء ورأى ، فعرفه معرفة الحاذق اللبيب ، والفطن الاريب . لأن الله قد جعل له نورا يمشى به فى الناس ، وفرقانا يفرق به مواضع الالتباس ، وهدى يهديه إلى سبل الله ، ويدله على طريق النجاة . كما يقول جل شأنه : « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به » ، وكما يقول : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » ، وكما يقول : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

مكتبتنا العربية

وإن الله لمع المحسنين ، وفى الحديث : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ثم كان قلبه منبعاً للإلهام والحكمة ، ومنزلا للهدى والسكينة . وفى الحديث الذى رواه ابن ماجه : « إذا رأيتم الرجل أعطى زهداً فى الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة » .

وكنت له فى إنطاقه بالحجج والبينات ، والقضايا المحكمات ، كلسانه الذى هو آلة المقال ، وأداة البيان ، فإذا ما نطق نطق بالحق والصواب ، وقضى بالحكمة وفصل الخطاب ، فكان لقوله فى كل قلب أثر من آثار رحمة الله التى تحيى الموات ، وتبرىء السقام ، وتنقذ من الضلالة ، وتشفى من العمى . فهذا كله - كما ترى - تمثيل لفضل الله على أوليائه ، وعظيم عونه وإمداده لأصفيائه وأوداده .

* * *

أما الغرض منه فهو - كما يقول البيانيون - تقرير الحال لا بيان المقدار . وذلك لأن معونة الله للولى من أوليائه أجل وأعلى من معونة جوارحه وأعضائه ، فهو مما يراد به تصوير الغائب بصورة الشاهد ، وتعبير الأمور المعنوية بالأمور الحسية ، إيناساً للنفوس ، وتبصيراً للقلوب ، وتجلية عن خفيات الأمور ، كمثل قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

والاقتصار على هذه الجوارح نوع من الاكتفاء ، لأن المراد - والله أعلم - توفيق هذا العبد وإمداده ظاهراً وباطناً توفيقاً وإمداداً يشملان جميع المدارك والجوارح والحواس .

وإنما اكتفى بهذه المذكورات لأن معظم مساعى العبد إنما هى بها . وكون المراد على الشمول ليس بمشكل ، فها هو ذا رسول الله ﷺ يدعو فيقول : (اللهم أعطنى نوراً ، وزدنى نوراً ، واجعل لى فى قلبى نوراً ، وفى قبرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، إلى أن يقول : وفى شعرى ، وفى بشرى ، وفى لحمى ودمى وعظامى) .

* * *

وقد اشتمل هذا الحديث أيضاً على إجابة الله لهذا العبد إذا سأله ، وعياذه إياه إذا استعاذ به ، وتردده عن قبض روحه تردداً لا يتردده عن شىء غيره ، لأنه يكره مساءته . والقول فى ذلك مما لا يحتمله المقام الآن . فإلى عدد آخر إن شاء الله ؟

محمود فرج العقدة
مدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

الدخيل وكتب التفسير

... ومن الدخيل ماذكره بعض المفسرين فى قصة سيدنا داود عليه السلام عند قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب » الآيات ، فقد ذكر ابن جرير والسيوطى من الروايات ما تقشعر منه الأبدان ولا يوافق عقلا ولا نقلا — عن ابن عباس والسدى ووهب بن منبه ، ومحصلها أن داود عليه السلام حدث نفسه إن ابتلى أن يعتصم فقيل له : إنك ستبتلى فخذ حذرك ، ثم أنبىء بيوم الابتلاء ، فأخذ فيه الزبور ودخل المحراب وأغلق الباب وأقعد خادمه عليه وقال له : لا تأذن لأحد اليوم . فبينا هو يقرأ إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه ، فأراد أن يأخذه ، فطار فوقع على كوة المحراب ، فذهب ليتناوله فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل ، فلما رأته نفضت شعرها فغطت به جسدها ، وكان زوجها غازياً فى سبيل الله ، فكتب داود إلى رأس الغزاة : أن اجعله فى حملة التابوت ، وكانوا إما أن يفتح عليهم وإما أن يقتلوا ، ففعل القائد ما أمر به فقتل زوجها .

وفى بعض الروايات أنه فعل ذلك مراراً حتى قتل ، فلما انقضت عدتها خطبها داود عليه السلام فتسور عليه الملكان وهما متنكران ، حتى أفتاهما فى قصتهما ، فأفهماه أنه المقصود بها . ولم يقف الأمر عند حد الروايات الموقوفة بل جاء بعضها مرفوعاً : روى البغوى بإسناده عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن داود النبي لما نظر إلى المرأة فأم فقطع « كذا » على بنى إسرائيل أوصى صاحب البعث فقال : إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدى التابوت ، فقتل ، ونزل عليه الملكان يقصان عليه قصته ، فقطن داود ومكث أربعين ليلة حتى نبت الزرع على رأسه وأكلت الأرض من جبهته » وفى سنده ابن لهيعة وهو مضعف فى الحديث ، ويزيد الرقاشى وهو ضعيف أيضا ، وقال النسائى والحاكم أبو أحمد : إنه متروك ، وقال فيه ابن حبان : كان من خيار عباد الله غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب (١) .

ومن هنا يتبين لنا الغلط فى رفع هذه الرواية المنكرة ، ولا نكاد نصدق هذا عن

(١) تهذيب التهذيب جزء ١١ ص ٣٠٩

مكتبتنا العربية

المعصوم ، وإنما هي اختلاقات من إسرائيليات أهل الكتاب . وهل يشك عاقل يقر بعصمة الأنبياء في استحاله صدور هذا عن داود ؟ ولو أن القصة كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود ونفرت منه الناس فلا يحصل القصد الذي من أجله أرسل . وكيف يكون على هذا الحال من قال الله فيه : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » ولكي يستقيم هذا الباطل قالوا : إن المراد بالنعجة المرأة وإن القصة خرجت مخرج الرمز والإشارة ، وإنه لما أفتاهما بجزاء من يفعل ذلك قال له الملكان : أنت أحق بذلك ، وصعدا .

والحق أن الآيات ليس فيها شيء مما ذكروا ، وليس من هذا شيء في كتب الحديث المعتمدة ، وما أصدق ما قال القاضي عياض : « لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ، وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت » وقد روى عن سيدنا علي أنه قال : من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة ، وذلك حد الفرية على الأنبياء .

والذي ينبغي أن تفهم عليه الآية أن داود عليه السلام كان وزع أعماله على الأيام وخص كل يوم بعمل ، فجعل يوما للعبادة ويوما للقضاء وفصل الخصومات ويوما للاشتغال بشؤون نفسه ويوما لوعظ بني إسرائيل ، ففي يوم العبادة دخل عليه خصمان تسورا المحراب ودخلا من غير المدخل المعتاد ، فارتاع منهما وظن بهما سوءاً وأنهما جاءا ليقتلاه ، ثم تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن وأنهما جاءا يحتكمان إليه ، فلما قضى بينهما بالحكمة وتيقن أنهما بريئان مما ظن بهما استغفر ربه من هذا الظن ، ومثل الأنبياء في علو شأنهم وقوة ثقتهم بالله ألا يعلق بنفوسهم مثل هذا الظن . وقد قبل الله استغفاره « فغفرنا له ذلك » . ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنباً في العادة إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى ، ويرون الاستغفار من مثله ، فهذا سيد البشر غير مدافع كان يقول : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » رواه مسلم وغيره . وهذا التأويل يوافق نظم القرآن ويليق بعصمة الأنبياء ، فالواجب الأخذ به ونبذ الأوهام والخرافات التي هي من شأن القصاص .

* * *

ومن هذا القبيل ما يذكره بعض المفسرين في قصة سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ، ففي تفسير ابن جرير والثعلبي والدر المنثور الكثير من الروايات ، وخلاصته ما روى أن سليمان عليه السلام أراد أن يدخل الخلاء فأعطى لجرادة خاتمه ، وكانت جرادة أحب نسائه إليه ،

مكتبتنا العربية

فجاء الشيطان فى صورة سليمان وطلب منها الخاتم فأعطته إياه ، فلما لبسه دانت له الإنس والجن ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال : هات خاتمى ، قالت : قد أعطيته سليمان ، قال : أنا سليمان ، قالت : كذبت ، فجعل لا يأتى أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، وقام الشيطان يحكم بين الناس . فلما أراد الله سبحانه أن يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان ، فأرسلوا إلى نسائه يستفهمون منهن عن أحواله ، فقلن : إنه يأتينا ونحن حيض .

فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له كتب كتبا ودفنها تحت كرسى سليمان ثم أثارها ورواها على الناس وقال : بهذا كان يظهر سليمان على الناس ، وأكفروه وبعث الشيطان بالخاتم فطرح فى البحر فابتلعته سمكة ، وكان سليمان يعمل على شط البحر حمالا ، فحمل لرجل سمكا فأعطاه سمكة ، فشقها فوجد بها الخاتم فدانت له الإنس والجن كما كان ، وهرب الشيطان فلحق بجزيرة فى البحر . ويجعلون مثل هذه الأباطيل تفسيراً لقوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » . وقد نبه السيوطى فى تخريج أحاديث الشفاء أنها إسرائيليات تلقاها ابن عباس عن أهل الكتاب ، وقد سبق إلى التنبيه إلى ذلك القاضى عياض فى الشفاء ، وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره [1] : « إن ما ورد فى فتنة سليمان إسرائيليات ، وأشد الروايات نكارة ما رواه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده قوى ، ولكن الظاهر أنه تلقاه إن صح عنه عن أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعترفون بنبوته فالظاهر أنهم يكذبون عليه » ، والذى أرجحه أن مثل هذه الروايات مدسوسة على ابن عباس وهو أجل من أن يروى مثل هذا الكذب الصراح أو يصدقه ، وقد كان الذى دسه ماكراً خبيثا فركب له هذا الإسناد الذى يزعمون أنه قوى ، ولأجل أن الله تكفل بحفظ كتابه قيض للوضاعين جهابذة الحديث ونقاده فكشفوا عوارهم وتنبهوا إلى مكرهم وردوا كيدهم فى نحرهم ، ومن يطلع على جهاد المحدثين فى هذا الباب يرى العجب العجاب .

هذا وإن نسج القصة مهلهل ، عليه أثر الصنعة والاختلاق . وإذا كان الشيطان يتمثل برسل الله فأى ثقة بالشرع تبقى بعد ذلك ؟ وكيف يعقل أن يسلط الله الشيطان على نساء رسول من رسله ؟ وأى ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جزء ٦ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

مكتبتنا العربية

يزواله ؟ وإذا كان خاتم سليمان بهذه المنزلة فكيف يغفل الله شأنه ولم يذكره بكلمة ؟ وهل غير الله خلقة سليمان فى لحظة حتى أنكرته جرادة ؟ الحق أن أثر الكذب باد على كل كلمة من كلمات هذه القصة .

ومما يذكر فى فتنة سليمان وهو موضوع مختلق ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ولد لسليمان ولد ، فقال للشياطين : واروه من الموت ، فقالوا : نذهب به إلى المشرق ، قال : يصل إليه الموت ، قالوا : فإلى المغرب ، قال : يصل إليه الموت . وأخيراً قالوا : نضعه بين السماء والأرض ، قال : نعم . فجاء ملك الموت فقبض روحه وجاء بجسده فألقاه على كرسى سليمان » ويفسرون الآية بمثل ذلك الباطل . وقد نبه على وضعه الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى موضوعاته ووافقه السيوطى فى اللآلى [1] وهل يشك فى وضع هذا إلا من يشك فى عصمة الأنبياء عن مثله ؟ والظاهر أن عداوة اليهود ـ أذلهم الله ـ لنبى الله سليمان حتى رموه بالكفر والسحر قد حدتهم إلى أن يرموه بالأكاذيب ويفتروا عليه هذه الافتراءات . وبقيت هذه الافتراءات حتى جاء الإسلام فدست على المعصوم ﷺ والصحابة وهم منها برآء ، وليت المفسرين والاخباريين لم ينقلوا هذا الهراء وتركوه ذهب فى تيه الفناء .

والصحيح المتعين فى تفسير الفتنة هو ما جاء فى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل واحدة منهن شيئاً إلا واحدة جاءت بولد ساقط إحدى شقيه ، فقال النبى ﷺ : لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله أجمعين » وفى رواية أخرى له أيضا « فلم يقل ونسى » فبينت أن الترك كان نسيانا لا تعمدا . وفى بعض الروايات : أن هذا الولد أتى به فوضع على كرسى سليمان ، فذلك المراد من قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » . وهذا التفسير للفتنة هو المتعين ، وخير ما يفسر به كلام الله هو ما صح عن رسول الله ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة جـ ٢ صـ ٢٢١ .

مكتبتنا العربية

في الفتوح الاسلامية :

قتيبـــــة بن مسلم

البطل الشهيد

— ١ —

ندمتم على قتل الأغر ابن مسلم
وأنتم إذا لاقيتم الله أندم
وقد كنتمو من غزوه فى غنيمة
وأنتم لمن لاقاكم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حور جنـــة
وتطبق بالبلوى عليكم جهنم
(جرير)

كان العهد الأموى مسرحا للحروب الدامية داخلية وخارجية ، ومجالا رائعاً للبطولة الباهرة ، والفروسية النادرة . فاتجه شباب العرب إلى النهوض بأعباء القتال ، وأظهروا من فنون الشجاعة أعاجيب خارقة .

ونستطيع أن نطالع فى تاريخ هذه الحقبة الدقيقة أسماء مختلفة لأبطال ممتازين من كماة العرب وفرسانهم ، غنموا لأمتهم ذخراً كبيراً ، وكسبوا لدينهم مجداً تالداً ، ووثبوا إلى القمة العالية منتصرين ظافرين .

وفى طليعة هؤلاء المغاوير قتيبة بن مسلم الباهلى ، ذلك العملاق الفذ الذى ضم للإسلام دولا شاسعة فيما وراء النهر ، فأخرج - بكفاحه الباسل - القطيع الوثنى فى هذه الأصقاع الدامسة ، من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، ومشرق التوحيد .

مكتبتنا العربية

ولقد نشأ قتيبة بن مسلم فى بيت يهيم بالفروسية والبطولة ، فأبوه مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى ، كان مضرب المثل فى الفتوة والبسالة ، وكان له فرس من عتاق الخيل يسمى بالحرون ، لا يمتطيه غير ذوى البأس والثبات من فرسان البادية المغاوير ، فشب قتيبة ولده طامحاً للمجد والرئاسة عن طريق الفتوة والبطولة .

وإذا كان الإسلام الخالد قد جاء بالمساواة العادلة بين القبائل والشعوب فإن فريقاً ممن سرت فى عروقهم دماء الجاهلية كانوا ينظرون إلى قبيلة باهلة نظرة شزراء ، ويرونها دون القبائل العربية مجادة وبطولة ، فنظموا فى هجائها الأبيات الفاحشة ، وعدوا - بوحى من عصبيتهم - الانتساب إليها ضعة مهينة .

ولكن قتيبة - ووالده من قبله - قد رفع هذه القبيلة المتواضعة - بما كسبه من مجد باذخ - إلى مصاف القبائل العريقة . ولولا المساواة العادلة التى سنها الإسلام فى الشعوب والقبائل ما اختارت الدولة الإسلامية من باهلة قائداً يفخر بأمجاده كل عربى يعتز بلغته ودينه ، ثم هو فى الوقت نفسه برهان عملى يقدمه الإسلام على صدق دعوته الرفيعة إلى تكافؤ الفرص والمساواة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

وكانت معارك الخوارج الرهيبة مجالا رائعاً لبطولة قتيبة فى شبابه الغض ، فقد خاض لججها الدامية بجنان ثابت وعزم صبور ، وأظهر من فنون الصيال وعجائب الإقدام ما جعل الحجاج بن يوسف الثقفى يقدر بطولته الخارقة ، وينوط به العظائم الفادحة ، فينهض بأعبائها أكمل نهوض .

وكان - إلى قوة بأسه وشدة مراسه - عالى الهمة ، جرىء اللسان ، ينتقد رؤساءه فى صراحة تامة وثقة بالغة ، لحين فاجأ شبيب بن يزيد بطل الخوارج الكوفة ، عقد الحجاج مجلساً حربياً من قواد الجيش وأخذوا يتشاورون فيما يجب أن يقوموا به إزاء شبيب ، فقام قتيبة وكلم الحجاج كلاماً قاسياً ينبئه عن تقصيره فى الأهبة ، وينعى عليه حيرته وتردده . فقال الحجاج : وما الرأى ياقتيبة ؟ فقال : الرأى أن تخرج أنت وتقود الجيش ونحن وراءك .

مكتبتنا العربية

وكان ما أراد البطل الباهلى ، فخرج الحجاج فى طليعة الجيش ، وأبلى قتيبة بلاء رائعاً ، وقد ظهر فى لباس حربى أخاذ ، وانهزم الخوارج هزيمة ساحقة ، فتردد صيت الفارس الشاب فى كل مكان . ولم تكن هزيمة شبيب وأصحابه بالأمر اليسير ، فهم على قلة عددهم يقتحمون الحتوف ، دون مبالاة بلهبها المبيد ، ثم هم يلجأون إلى المكايد الواسعة والحيل الرهيبة ، فيسعفهم الرأى البصير ، بما تتقاصر عنه القوة الحافلة ، والعدة الصارخة ، حتى اقتحموا الكوفة ، ودخلوا على الحجاج عرينه المنيع ، فطلب المدد من الشام ، وغشيه القلق الساهد . ولولا كفاح قتيبة الرهيب ، وتقدمه الصفوف فى طريق من الأشلاء ، ماتم النصر للحجاج فى معركة كانت - بالنسبة إليه خاصة - معركة فناء واستئصال .

* * *

أخذ الحجاج بعد مقتل شبيب يضع قتيبة فى الصف الأول بين جنوده وأعوانه ، ويراه كفئا لكل كريهة دامية تتطلب الكمى الباسل ، وكان يكن لآل المهلب عداوة شنيعة ، ويرى فى استئثارهم بخراسان نكبة فادحة ، فهم أهل عزيمة جبارة ، وأبطال كفاح قاهر ، ومن الجائز أن يقتطعوا خراسان من الأمويين ، وينادوا بأنفسهم خلفاء كالزبيريين ، فكتب إلى عبد الملك بن مروان يزين إليه عزل يزيد بن المهلب ، وأمير المؤمنين يعلم مابين الرجلين من تطاحن مريب ، فيزيد ينظر إلى الحجاج نظرة جاهلية تنطوى على الاستهانة بأصله المتواضع ، ونشأته فى ثقيف ، ويرى - وهو السيد العريق - أن مكانه من قبائل الأزد القوية ذات الحشد الهائل ، والأرومة المتغلغلة ، يجعله فوق الحجاج مرتبة وكفاية . والحجاج يرى طموح يزيد وصولته ، فيتأكد من عصيانه ومروقه ، ويصارح بضرورة عزله وإقصائه ، حتى تم له ما أراد ، ووافق عبد الملك على خلعه وتأمير قتيبة بن مسلم مكانه . ذلك القائد الذى رشحه الحجاج فنهض بالعبء وملك الزمام .

* * *

سار قتيبة إلى خراسان لوقته ، فاستعرض الجند ورتب شئون الإمارة والحكم ، وتأهب لفتح ممالك ما وراء النهر ، ليشغل الخراسانيين بالغزو والجهاد ، ثم بدا له أن يعدل من

مكتبتنا العربية

سياسة يزيد فى اختيار القادة والأعوان حيث كان يعتمد فى استشاراته ومهامه الحربية على العرب وحدهم ، دون أن يشرك الفرس فى إحكام خطة ، أو قيادة كتيبة ، مما فسح المجال للتفرقة ، وغرس بذور الخلاف فى الجيش الواحد .

وقد شاء القائد الجديد أن يرأب هذا الصدع ، فوثق فى كفاية الفارسيين ، وقدمهم فى المناصب والقيادة ، وأصبح الجيش الإسلامى إلى حد ما كتلة واحدة ، تقف أمام العدو متراصة متساندة ، واستطاع قتيبة أن يرضى نفوساً كثيرة ، لم تكن لتجاهد بإخلاص وعزيمة وهى مهدرة الحق ضائعة المكانة بين الناس .

سار الجيش الإسلامى بقيادة قتيبة ، فعبر النهر إلى أرمينية وبخارى والتركستان ، وكانت هذه الممالك فيما بينها متنافرة متدابرة يغمرها الجور والفساد ، وقد وقع الرعب فى نفوس ملوكها الضعاف ، وحاروا فيما يصنعون إزاء الخطر الداهم ، فمنهم من أذعن وصالح ، ومنهم من قاوم ودافع ، وقد سارع ملك الصغانيان فقدم التحف والهدايا ، وأعلن خضوعه واستسلامه ، فتقدم الجيش إلى مملكتى أخرون وسومان ، فصالحهما على الجزية ، وسار قتيبة مثقلا بما حمل من مال وعتاد .

ولكن الحجاج لم يعجب بخطة المصالحة والهدنة ، فليس المراد من الغزو الإسلامى تكديس الثروات وجمع الأموال ، بل إن نشر الإسلام وحده هو الهدف الأول فى بلاد تغمرها الوثنية بظلامها الكثيف ، وإذ ذاك بعث إلى قتيبة يلفته إلى المهمة الأساسية للغزو والجهاد ، ولم يكن قتيبة غافلا عن رسالته فى الغزو ، ولكنه كان لأول عهده يختبر الدروب ، ويستطلع المسالك فى مطارح نازحة تستدعى المصانعة والتريث ، حتى إذا ملك أمره ، وتبين طريقه ، عمد إلى تحقيق هدفه فى ثبات واطمئنان ، وهذا ما كان منه بعد الجولة الأولى ، فقد أعد العدة الكافية لمواجهة الحصون المنيعة فى بخارى والصغد ، ودقت طبول الحرب فى أصقاع التركستان .

كان الخطر مزعجاً داهما ، فتجمعت كلمة الملوك ، ووقفوا صفاً واحداً أمام العدو المشترك ، وزحفت جموع الوثنية إلى قتيبة ، فحاصروه حصاراً أليما ، ولقى ضروباً قاسية من الأهوال فى مطارح نائية لا عهد له بوهادها المضطربة وآكامها الممتدة ، ولكنه لم يغفل لحظة واحدة عن خصومه ، بل هجم هجوم المستميت ، وركز نضاله فى جبهة واحدة ، فتفرق

مكتبتنا العربية

حماتها أباديد ، ووقع الرعب فى الجيش الوثنى ، فتبعه قتيبة مثخناً بجهزاً ، وتحقق له ظفر مبدئى كان فألا طيباً للقائد العظيم .

أجل ، لم يكن النصر حاسماً قاطعاً رغم ما استولى عليه المسلمون من الغنائم والأسلاب ، وما جمعوه من الأوانى الذهبية والتحف النادرة . بل إن فلول الجيش المنهزم قد استغاثت بأشياعها وأحلافها ، وتكدست الوثنية مرة ثانية أمام قتيبة ، فأجمع ملوك الصغد والترك وأهل فرغانة وكش ونسف على مقاتلة المسلمين ، فلم يكترث بهم قتيبة وتقدم إلى فتح بخارى ملقياً بجنوده أمام الطوفان الهائل من القطيع المتلاحم ، ودارت معركة رهيبة هزم فيها المسلمون بادىء ذى بدء . وكان الوثنيون يتحصنون بنهر كبير ، فحشد القائد العربى قوته وعبر النهر إلى أعدائه من حيث يأمنون ، فساد الفزع والاضطراب ، وتلقفتهم أمواج النهر ورماح الغزاة ، وسقطت بخارى المنيعة بعد أن حصدت أمامها الرءوس ، وسالت بها جداول الدماء .

« يتبع »

محمد رجب البيومى
المدرس بأبى تيج الثانوية

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المؤلفة قلوبهم فى جنوب السودان

فى جزء شعبان من السنة الماضية نوهنا بالتبرع الكريم الذى وصل إلى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر من السرى الوجيه الحاج يوسف زينل على رضا بأربعين جنيهاً ومن العالم الجليل الشيخ محمد نصيف بعشرة جنيهات للمؤلفة قلوبهم فى جنوب السودان ، وفى شهر شوال الماضى نوهنا بوصول حوالة أخرى من حضرة الشيخ محمد نصيف بقيمة خمسين جنيهاً تبرع بها السيد إبراهيم شاكر من أعيان جدة وتجارها وحوالة بعشرين جنيها تبرع بها الشيخ محمد الطويل من أعيان جدة ، ونصف جنيه من فاعل خير بالسودان .

وقد ورد أخيراً لفضيلة الاستاذ الاكبر إعانة أخرى بقيمة ٧٩ جنيهاً و ٨٣٠ مليما بعث بها السيد وزير الأوقاف فيكون مجموع ذلك كله مائتى جنيه و ٣٣٠ مليما . وقد أرسلها فضيلة الأستاذ الاكبر إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز أحمد عيسى مبعوث الأزهر ورئيس جمعية المؤلفة قلوبهم بملكال وذلك بإذن رقم ٣٠٧٣٧٢ بمجموعة رقم ٢ لتصرف فى مصرفها .

مكتبتنا العربية

الشجاعة فى نظر الاسلام

الشجاعة من صفات الرجال ، وسمات الأبطال ، وهى الحد الوسط بين خلتين : هما التهور والجبن ، كما تشير إلى ذلك نظرية الأوساط ، وهى غريزة من الغرائز يعلمها ما يراه الإنسان منذ حداثته فى بيئته التى عاش فيها من ألوان البطولة والإقدام ، وما يلقنه عن أبيه وأمه وسائر المحيطين به من مواقف التضحية والتفانى وعدم الخوف والفزع ، ويمحو أثر هذه الغريزة أن يعيش المرء فى وسط يرزح تحت أعباء من التقاليد البالية والتربية الفاسدة التى تجسم له الأشباح والخيالات ، وتخيفه من الظلام والوحدة ، وأعباء من العادات التى تضرب حول الناشئة سياجا منيعاً ليس من حقهم أن يظهروه أو يحطموه ، وتولد عندهم كبتاً وحقدا على مجتمعهم الذى يعيشون فيه ، وتحملهم على أن يتهيبوا جميع المواقف المشرفة .

والشجاعة من الخلال التى تغنى الناس بفضلها ، وتناولوها بالإفاضة فى أقوالهم ، وهى صفة لازمة لأولئك الأبطال الذين يخوضون المعارك ، ويقودون الجيوش ، وللدعاة المصلحين الذين أخذوا على أنفسهم أن يحموا دعوتهم ، ويرسوا قواعدها ، ويتغلبوا على كل ما يصادفهم أو يعترض طريقهم غير مبالين بما ينالهم من إيذاء وضر . وما تجرد قائد أو داعية من هذا اللون إلا كان وبالاً على نفسه وأمته ودعوته ، فاشلا فى كل ما أسند إليه أو قام به .

وللشجاعة ضروب مختلفة ، ولكل منها عشاق ، ويندر أن تتجمع ضروبها فى فرد من أفراد المجتمع البشرى ؛ لأن من يروى الشجاعة المادية قد تعجزه الشجاعة النفسية والأدبية ، وأكثر تلك الضروب تبادرا إلى الذهن اللون المشهور المعروف الذى يفهم عند الإطلاق وهو الشجاعة الجسمية ، وأصحابها هم ذوو العضلات المفتولة ، والسواعد القوية ، والبنية السليمة ، والطول الفارع ، الذين ينازلون الأبطال ، ويصرعون الآساد والرجال ، ويتسلقون الأطواد ، ويغيرون على الأعداء ، ويكرون ولا يفرون ، ويقدمون ولا يدبرون ، ولسان حالهم يقول :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

مكتبتنا العربية

ولقد أقام العرب لهذا اللون دولة ، ونصبوا لأصحابه المهرجانات ، وتغنوا بمآثرهم ، وأفاضوا فى الحديث عنهم ، وفى الذروة من أبطال العرب عنترة ، وعبد يغوث بن الحارث ، وعمرو بن معد يكرب ، والسليك بن السلكة ، وبشر بن عوانة العبدى وغيرهم ، ولما كانت الشجاعة من الصفات التى يرنو إليها الكثير فقد ادعاها بعض الأدباء والشعراء : كحسان ابن ثابت ، وأبى العلاء المعرى ، وغيرهما من أولئك الذين لم يمارسوا حرباً ، أو ينازلوا أحدا .

ومن يطلع على الشعر قديمه وحديثه ، ويتنقل بين رياضه ، يرى أن الشجاعة قد احتلت فيه المكان الأول ، وفازت منه بالنصيب الأوفر ، وإلى القارىء الكريم طرفا من تلك الأشعار .

قال عبد يغوث بن الحارث :

وقد علمت عرسى مليكة أننى أنا الليث معدواً على وعاديا
وكنت إذا ما الخيل شمصها [1] القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا
وعادية [2] سوم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا إلىّ العواليا

وقال النابغة الجعدى :

فلما قرعنا النبع بالنبع [3] بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا
سقيناهم كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا
ملكنا فلم نكشف قناعاً لحرة ولم نستلب إلا الحديد المسمرا
وإنا لقوم ما نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا

وقال المتنبى فى قصيدته التى يعاتب فيها سيف الدولة :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

(١) نخسها لتتحرك . (٢) القوم يعدون او الخيل تعدو . (٣) النبع شجر يتخذ منه القسى .

مكتبتنا العربية

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت فى الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب منى القور[1] والأكم

وقال المعرى :

وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل
وإنى جواد لم يحل لجامه ونضو يمان أغفلته الصياقل

* * *

والإسلام ينظر إلى هذا الضرب من الشجاعة على أنه أدنى الأنواع كلها ، ويقدم عليه فى الأولوية والتفضيل الشجاعة النفسية ، وهى التى تعينك على أن تقهر نفسك ، وتخضعها لرغباتك ، وتحد من نزواتها الجامحة ، وتحول بينها وبين طيشها وغرورها حتى لا تتمرد على التقاليد والأخلاق والمجتمع . وأقوى الناس وأولاهم بوصف الشجاعة رجل تحكم فى أعصابه ، واستحوذ على زمام نفسه وقت ثورة الغضب ، فلم يخرجها عن وقارها ، ولم يتجاوز بها حدود الإساءة إلى الغير ، اللهم إلا إذا استغضب بأن اعتدى على كرامته أو دينه أو انتقص حق من حقوقه بقصد إذلاله .

* * *

وهناك لون ثالث يعرف بالشجاعة الأدبية ، ويعتمد على القوة فى الإيمان والجرأة فى الإفصاح والبيان ، وأنصار هذا اللون وعشاقه أولئك الأحرار الذين عرفوا كنه الحرية وماهيتها ، فقدسوها وتفانوا فى سبيل الحفاظ عليها ، وبذلوا كل مرتخص وغال فى سبيلها ، عرفوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فاعتزوا بأنفسهم ، ودافعوا عن حياضهم وحموا بيضتهم ، وعرفوا أن الناس سواسية ، فنبذوا النفاق ، وتمردوا على الملق ، وشمخوا بأنوفهم . ولم تنحن رءوسهم لغير الله ، قالوا الحق وإن كان مراً ، وتمسكوا بالصدق ولو كان فيه الهلاك ، كانت لهم رسالات أدوها على أحسن ما يكون الأداء ، ما صرفهم عنها تهديد ، وما حال دون إبلاغها وعيد ، تناصحوا وما عرفوا فى سبيل ذلك مجاملة ولا التواء ولا ضعفاً ولا خنوعاً ، لقد كانت كلمات النصح تخرج من فم الناصح الأمين كالسهام المارقة لا تلوى على شىء ،

---

(١) الأرض ذات الحجارة السوداء .

مكتبتنا العربية

وما سمعنا عن نصيحة هى أبين فى المحجة ، وأقوى فى الإصابة ، من قول عمر الفاروق رضى الله عنه لسعد بن أبى وقاص حينما عقد له ووجهه لقيادة جيش الفرس : « يا سعد سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيىء بالسيىء . ولكن يمحو السيىء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، فانظر الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ومن تتبع سيرة السلف الصالح ، وعلى رأسهم سيد العزم من الرسل ، فإنه يجد فيها نوعا من الشجاعة الأدبية غير معروف ولا معهود . لقد كانت كلمة الحق تدوى فى كل مكان ، يستوى فى مقالتها السيد والمسود ، ويتلاقى عند الإذعان لها الرئيس والمرءوس والحاكم والمحكوم .

وبعد - فما من أمة رفرف عليها علم الشجاعة إلا بلغت ذروة المجد ، وحطمت قيود الحرية ، وكتب الله لها العزة والكرامة .

زكى سويلم
المدرس بالأزهر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

العشراء

من شعر مسكين الدارمى :

اصحب الأخيار وارغب فيهم ... رب من صحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثهم ... ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه ... وسمين الجسم مهزول الحسب

مكتبتنا العربية

مشكلة التشرد
والأوضاع الاجتماعية

لكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته، والتشرد داء من أدواء المجتمع، ومشكلة من مشكلاته، ولا يحدث هذا الداء فى مجتمع ما اعتباطاً دون سبب، إنما يأتى نتيجة لمجموعة من الدواعى والعلل، كلها ترجع لاعتبار واحد، ليس يعدو اضمحلال الأحوال الاقتصادية؛ إذ المجتمع كتلة متجانسة متساندة، فإن اختل وضع من أوضاعه أثر ذلك فى سائر أوضاعه.

والسبب الأول لوجود التشرد، هو انتشار الفقر، بما يلحقه من انخفاض المستوى المعيشى؛ لأن قلة الدخول تضطر بعض الناس إلى سلوك طريق التشرد، ويتعلق بذلك ضعف الإنتاج، وتفاوت الثروات، إذ من مقتضى ذلك أن تقل وسائل التعيش، ولا تتلاءم مع الزيادة فى السكان، وتقتصر أماكن العمل على فئات قليلة من الأفراد، فتحل البطالة بين الفئات الأخرى، والنتيجة الطبيعية للبطالة تشرد العاطلين؛ إذ العاطل لا يجد أمامه إلا أحد سبيلين: إما أن يتبع سبيل الجريمة ليحصل على قوته وقوت من يعوله، وإما أن يشرد فى دروب المجتمع هو ومن يتبعه من الأطفال.

وكذلك انتشار الجهل يؤدى - كنتيجة منطقية - للتشرد، وذلك أن الجهل وانتشاره يشجع بعض الأفراد على استغلاله فى الآخرين من الجهال؛ وذلك باحتراف الشعوذة بطرقها المختلفة، وباتباع التسول فى أنحاء البلاد.

ولا تقتصر أسباب التشرد على الفقر والبطالة والجهل، بل الواقع أن انخفاض المستوى الخلقى له أكبر الدخل فى خلق نوع يعتبر أهم أنواع التشرد، ونقصد به تشرد الأحداث؛ وذلك أن من شأن الانحطاط الخلقى نشوء مرض آخر من أمراض المجتمع، هو مرض (الدعارة)، وهذا المرض أهم عامل للتشرد، ويتبين هذا من الإشارة إلى ما يترتب على الدعارة من الاتصال الجنسى بين الغاوين والفساق، وينشأ من ذلك مجموعة من الثمرات البشرية غير الشرعية التى يكتب عليها القدر أن تكوّن تلك المشكلة الحالة التى تهدم كيان الأوضاع الاجتماعية، ونقصد بها مشكلة تشرد الأحداث.

مكتبتنا العربية

ولا شك أن العقيدة والدين يتعلقان تعلقاً مباشراً بالحالة الخلقية ، إذ الوازع الدينى هو ، المنظم ، الطبيعى والاساسى لنشاط الأفراد الاجتماعى ، ومن مقتضى وجوده وتأصله فى نفوسهم رفع المستوى الخلقى الذى يؤدى بدوره إلى القضاء على التشرد باعتباره مرضاً اجتماعياً خطيراً . . .

* * *

والمجتمع عادة لايخلو من عجزة لايستطيعون العيش ولا الكسب ، لنقص فى أعضائهم الجسمية ، أو لانهدام فى قواهم البدنيـة أو العقلية ، وهؤلاء إذا لم توجد لهم سبل العيش والتنظيم ، يصيرون عنصراً حيوياً من عناصر التشرد ، ومن هـذا يتبين أن مشكلة التشرد تتشعب إلى شعبتين : أولاهما مشكلة تشرد الأحداث ، وثانيتهما مشكلة تشرد البالغين ، ونعنى بذلك من يتعدون الخامسة عشرة من أعمارهم ، ويدخل فيهم صحاح الأجسام وناقصوها كما يدخل ضمنهم العجزة والضعفاء .

أما عن تشرد الأحداث ، فله مظاهر وحالات متعددة ، منها أن يوجد الحدث متسولا سواء فى الطرق أم المحال العامة ، ومن التسول أن يعرض سلعاً تافهة يتظاهر بالاتجار فيها ، ومنه كذلك أن يقوم بألعاب بهلوانية يحاول بها استدرار عطف الناس فى الطرقات والمقاهى ، ومن مظاهر تشرد الحدث أن يمارس جمع أعقاب لفائف التبغ والأوراق والخشارة المهملة فى الطرقات ، أو أن يقوم بالأعمال المتصلة بالفسق والدعارة أو القمار أو القيام بخدمة القائمين بهذه الأعمال ، وكذلك يعد من الأحداث المشردين الصغير الذى يعرف بسوء السلوك ويكون مارقاً من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه ، ويدخل كذلك ضمنهم من لا يكون له محل مستقر من الصغار ، أو من يعتاد منهم على المبيت فى الطرقات ، أو من لايكون له وسيلة مشروعة يتعيش منها ، أما المتشردون البالغون ، فهم أولئك الذين ليست لهم وسائل مشروعة يتعيشون منها ، فلا ينطبق وصف التشرد على من كان من ذوى الحرف والصناعات المعروفة ولا يجد فى يوم من الأيام له عملا .

* * *

والوسائل غير المشروعة للتعيش كثيرة ومتنوعة : منها أعمال وألعاب القمار التافهة ، ومنها الشعوذة ، ومنها العرافة ، ومنها التسول والشحاذة ، ولا يخفى انطباق كل هذه الوسائل

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

فى حذق ومهارة بعد تمرين وتوجيه . ومثال تهيئة الراحة : ما نسمعه ونقرأه من نضوج المبتكرات والمخترعات إلى الحد الذى تستطيع أن تقدم لنا فيه طرقا وآلات لتفهيم فاقدى السمع والنطق المعلومات والتعبيرات ، وأخرى لتعليم العميان القراءة والكتابة ومعرفة الأوقات بوساطة ساعات ابتكرت خصيصاً لهم ، إلى غير ذلك من الآلات والمبتكرات !

ويتلخص علاج مشكلة التشرد والقضاء عليها - فى نظرنا - فى القضاء على الأسباب التى أوجدتها وساعدت على نشرها ، وعلى هذا يكون العلاج عن طريق إصلاح الأوضاع الاقتصادية فى المجتمع ، وهذا الإصلاح يؤدى إلى رفع مستوى العيش ، ومن شأن هذا الأخير رفع المستوى الخلقى والتربوى ، ولا بد للوصول إلى كل ذلك من الاهتمام بالدين والعقيدة ، وغرسها فى نفوس النشء والاهتمام بها فى المدارس والمعاهد والمصانع ، فضلا عن مكافحة الدعارة والفسق ، وإبعاد الوسائل الكفيلة بالتطويح بالبطالة ، والعمل على زيادة الإنتاج ، وهذا الأخير يؤدى إلى القضاء على الفقر والجهل ، وهما من الأسباب الرئيسية لتفاقم مشكلة التشرد فى مختلف المجتمعات ! . ؟

أحمد طه السنوسى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الخطأ الظاهر والخطأ المتوارى

قال رجل من اليونان لديوجانس - وكان الرجل اليونانى يشتغل فى صناعة التصوير ، ثم زهد فيها وزاول صناعة الطب - :

إنك يا ديوجانس لم تتقن فى حياتك إلا الفلسفة ، أما أنا فأمتاز عليك بأنى ما رست فن التصوير وانتقلت منه الى غيره فزاولت صناعة الطب .

فأجابه ديوجانس :

أحسنت ياهذا ، فإنك لما رأيت خطأ التصوير ظاهرا للناس وخطأ الطب تستره المقابر تركت ذاك وانتقلت إلى هذا .

مكتبتنا العربية

كيف عالج الاسلام الجريمة

لم يحارب الإسلام الجريمة كما يحاربها قانون الأرض ، ونظام الناس ، بل عالجها مراعيا طباع البشر ، وما ركب فينا من ميول وغرائز ، كما أدخل فى حسابه ضرورات الحياة ، ودوافع الجريمة ، ونظر إلى الجرائم على أنها أمراض ذات جراثيم فتاكة يجب أن يصح المجتمع منها ويسلم ، فبدأ العلاج بأمصال الوقاية ، واعتزال المصابين حتى لا تسرى العدوى فلا يجدى علاج ولا ينجح دواء ، ولعل مرض الأخلاق أنكى فى العـــدوى وأسرع فى الانتقال من مرض الأجسام .

بدأ الإسلام العلاج بالتربية والتهذيب ، وبيان ما أحل من الأمور وأبيح ، وما حرم منها وحظر ، وأعقب ذلك ببيان ما يترتب على كل من حسن الجزاء أو سوء المنقلب ، وأنه لا بد لمرحلة التهذيب من مجانبة الأشرار ، وانتقاء من يصحب من الأخيار ، فالمرء على دين خليله ، وبذا يصون الإسلام البيئة من أدران الشر ، وجرائم الأشرار ، منعا للأسباب ، وقضاء على الدواعى ، حتى تموت الجريمة قبل أن تولد .

ثم ينتقل الإسلام بعد هذا ليبين عن الدوافع إلى الجريمة والمغريات بها ، فيقيم الحواجز ، ويسد الذرائع ، ويمنع الحمى ، حتى لا يحوم حوله أحد ، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، فجريمة الاعتداء على العرض مثلا يدفع إليها ويغرى بها الحرمان من إرضاء تلك الغريزة ، وقد حارب الإسلام هذا بتشريع الزواج والترغيب فيه ، ويجعله نصف الإيمان ، ويعد عليه سعة الرزق وبسط العيش ، فيقول : التمسوا الرزق بالزواج ، فالزواج وما ملكت الأيمان محل المتعة ومجال إرضاء الغريزة الجنسية ، ومن ابتغى بعد ذلك فأولئك هم العادون .

وبذا يفصح عما يحل وما يحرم من هذا القبيل . كما قد يدفع إلى هذا الاعتداء ، إبراز الجمال ، وإظهار المفاتن ، والتفريط فى الأعراض ، ويقضى الإسلام على هذا كله بغض البصر تارة من الرجل والمرأة ، كما حرم الاختلاط ، وأكبر الخلوة بالأجنبية ، وأوجب الحجاب ، وحظر لين القول المطمع ، وتعرض المرأة مزينة أو متبرجة ، حتى لا تكون فتنة ثم لا تكون جريمة ، نقرأ هذا فى قول الله تبارك وتعالى من سورة النور الآيتين ٢٩ ، ٣٠ من قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ـ إلى ـ وتوبوا إلى الله

مكتبتنا العربية

جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » كما ترى ذلك فى مسلك الرسول عليه الصلاة والسلام مع أهله ، فقد روى أنه دخل على النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أم مكتوم وهو (أعمى) ومع النبي بعض زوجاته . فقال لهن النبي : احتجبن . فقلن : إنه أعمى يا رسول الله ، فغضب النبي وقال : أفعمياوان أنتما ؟

ولقد صان الإسلام الأعراض حتى عن التناول بالسب والشتم ، وجعل لذلك حداً مفروضاً يعرف فى الفقه بحد القذف ، ونص القرآن على أنه ثمانون جلدة ، نقرأ هذا فى قوله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » . فقد أنزل بالمفترى بذلك عقوبة مادية جسدية بجلده ثمانين جلدة ، وعقوبة أخرى أدبية برد شهادته ، وإسقاطه من عداد الرجال الكاملين العدالة ، وهذه عقوبة الدنيا . أما جزاء الآخرة فيوضحه قول الله تبارك وتعالى : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » ...

ثم إن وقعت جريمة الاعتداء على العرض بعد كل هذا - ولو عن رضا وطواعية من كليهما - فإن الله يغار على محارمه ، وقد أمرنا بالغيرة على تلك المحارم . فالعروض ليست ملكا لأصحابها (كما يظنون) فليست لهم فيها حرية التصرف على ما يريدون ، وكما يحبون ، ومع من يشتهون . فقد أحل الله منه الطيب الطاهر ، وحظر الخبيث الذى تختلط به الأنساب ، وتفسد الأخلاق . وتتدهور الأمم وتنحل . أقول : إن وقعت الجريمة بعد كل هذه التحذيرات عن غير اكتراث بوعد ، ولا خوف من وعيد ، فثمة حدود تقمع هؤلاء وأمثالهم عن غيهم ، وتقدع أنوفهم عن رجسهم ، من الرجم إلى الموت ، أو الجلد وتغريب عام على ما تفصله كتب الفقه ومذاهب الفقهاء حسب ملابسات الجريمة ، وحالة الآثمين ، من إحصان وعدم إحصان ، تطهيراً وتزكية للبيئة .

* * *

وكما عالج الإسلام جريمة العرض وحاربها ، حارب جريمة الاعتداء على المال ، فلا تلصص ، ولا اختلاس ، ولا سرقة ، ولا غش . لكنه يهذبنا ابتداء بألا نطمع فيما ليس لنا فيه ، ونزهد فيما لا نملك . ويحرم الشح والحرص والنكالب على جمع المال . فإن لذلك شهوة قد تعمى عن التفرقة بين الطيب والخبيث . ثم يوجب التعاون بين الحاكم والمحكوم قضاء على الفقر ، لأنه كثيراً ما يدفع إلى مختلف الجرائم ، وأكثر جرائم الفقر ارتكاباً

مكتبتنا العربية

جريمة السرقة على مختلف سبلها . . فمن ابتغى بعد هذا ثراء عريضا ، وسعة فى المال ، فلديه من الطرق المشروعة الشريفة للكسب الطيب ما يشبع رغبته ، ويذيله أمنيته . فالتجارة ، والإجارة ، والزراعة ، كلها سبل مشروعة .

وليصون الإسلام المال من التلف والضياع شرع له قوانين تصونه حتى من أصحابه ومالكيه ، فيحرم الربا ، ويمنع القمار ، ويحظر الرشوة ، ويبغض فى الإسراف ، ويعدها كلها كبائر تورث فقر الدنيا ، وخزى الآخرة ، ويذم السرقة ، ويصف آكلها بأنه إنما يطعم ناراً ، فإنها مصيره . .

فمن أبى بعد هذا التحذير إلا الاعتداء على أموال الناس ، وأكلها بغير حق ، ألزم الدين الحكام أن يقيموا حدود الله وينفذوا شرعته ، فينزل الحاكم بالسارق عقوبته التى حدها الله بقوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »

فإذا مرد السارق على جريمته ، وجمع إليه أنداده وأشباهه ، وقاموا على الطريق يخيفون المارة ، ويعتدون على الأموال والأنفس ، فإن أولئك بعد أن قطع الله جرمهم وسماهم محاربين لله ولرسوله فوّض الإمام فى أن ينزل بهم من العقوبات التى وضعها ما يراه على قدر خطرهم . نقرأ هذا فى قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

* * *

وبالوسيلة عينها رأينا الدين يعالج ويحارب جريمة الاعتداء على النفس ، فإنه بعد أن يتلطف للناس فى الطلب بتحبيب احترام النفس ، وتبغيض الاعتداء عليها ، فسمى الحياة « بناء الله » ودعا قاتل النفس « هادما لبناء الله » ، وبعد أن أبان أن من قتل نفسا أو كان سببا فى قتلها بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن كان سببا فى إنقاذ حياة من ضياعها ونفس من تلفها فكأنما أحيا الناس جميعا « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » ثم أوضح بعد هذا — تخوفا — مدى العذاب الذى يلقاه من اعتدى بالقتل فيقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

مكتبتنا العربية

ويعمد بعد إذ ينتهى من هذه الأساليب الوعظية الخطابية ذات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب - يعمد إلى الإبانة عما يجب من الحدود ، وما يلزم الحاكم من إقامته صيانة للحياة ، وتثبيتا للأمن ، وردعا للمستهتر ، ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، يبين الإسلام عن القصاص فيما يتعلق بالنفس كلا أو جزءا بصراحة لا تقبل التأويل ، ذلك حيث يقول الله تبارك وتعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

* * *

وهكذا نرى الإسلام قد عالج الجرائم علاجا راعى فيه النزوات النفسية ، والغرائز البشرية ، فأخذها بالتعليم والتهذيب ، ثم بالترغيب والترهيب ، ثم بالتى لا يقع حسم الداء إلا بها وهى الحدود ، فكان معنا على ما قال القائل :

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم تغن أغنت كتائبه

ولن نغفل — كما لم يغفل الإسلام — النظرة الأدبية إلى النفس ، فإنها إن لم تحى عزيزة كريمة أبية مكفولا لها جميع حقوقها ، فليست حياتها حينئذ بالحياة التى يرضاها ويرضى عنها الإسلام ، فالاضطهاد ، والضيم ، والإذلال ، والتضييق على العقول فى آرائها ، وحبس الأرزاق والاستبداد بها ، كلها جرائم ورذائل ، يأباها الإسلام ويحذر منها ، وينزل العقوبة بمن ارتكبها لظلمه ، وبمن نزلت به لرضاه بالظلم ، وإنا لنقرأ هذا فى كتاب الله ، ذلك حيث يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

ولا تزال حكمة عمر بن الخطاب التى صرح بها فى وجه عمرو بن العاص فى قصة المصرى مع ولده (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، لا تزال تلك الصرخة ترن فى أذن الدهر ...

وبعد — فكم بين حكم الله وحكم الناس . وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض ، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء ؟

محمد حافظ

المدرس بالمعهد الدينى بالإسكندرية

مكتبتنا العربية

دور اللهو والسينما

يتساءل كثير من الناس عن دور اللهو والسينما ، هل يعتبر وجودها مما يتعارض مع الدين الإسلامى ؟

إن الإسلام دين الفطرة ، وهو يعترف بحق النفس فى أن تحيا حياة سعيدة لا سأم فيها ولا ملل ، ولا نصب معها ولا كلل ، ومن أجل ذلك سمح لنا بالتسلية البريئة واللهو المباح ، والمزاح المقبول ، والنكتة الطريفة ، وغير ذلك من الوسائل التى ترفه عن النفس وتطلقها من رباطها ، وتعيد إليها قوة نشاطها ، إذا انقبضت بعد انبساطها .

(١) روى أبو هريرة أن النبى ﷺ قال : إنى لأمزح ولا أقول إلا حقاً . قالوا : إنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال : إنى لا أقول إلا حقا . أخرجه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن .

ومن هنا أجاب سفيان الثورى حين سئل : هل المزاح مجنة ؟ فقال : بل سنة ، لقوله عليه الصلاة والسلام « إنى لأمزح ولا أقول إلا الحق » . ذكره ابن عساكر .

(٢) أخرج أحمد والترمذى فى الشمائل عن أنس بن مالك أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يهدى إلى النبى ﷺ هدية من البادية فيجهزه النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه . وكان النبى ﷺ يحبه ، وكان رجلا دميما ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال : من هذا ؟ أرسلنى . فالتفت فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من يشترى هذا العبد ؟ فقال : يا رسول الله ، إذاً والله تجدنى كاسداً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لكن عند الله لست بكاسد أو قال : أنت عند الله غال .

مكتبتنا العربية

٣ — وأخرج الزبير بن بكار أن رجلا يقال له نعيمان كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء بها إلى النبي ﷺ فيقول : ها أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطالب نعيمان بثمنها أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أعط هذا ثمن متاعه . فيقول : أولم تهده . فيقول : إنه والله لم يكن عندى ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ، فيضحك .

٤ — وأخرج أبو داود عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله احملنى . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا حاملوك على ولد ناقة . قال : وما أصنع بولد الناقة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وهل تلد الإبل إلا النوق .

وأخرج أيضاً عن عوف بن مالك الأشجعى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فسلمت فرد وقال : ادخل ، فقلت : أكلى يا رسول الله . قال : كلك . فدخلت . قال عثمان بن أبى العاتكة : إنما قال كلى من صغر القبة .

٥ — أخرج البخارى عن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله ﷺ يوما على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون فى المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه ، أنظر إلى لعبهم . وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب . فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : تشتهين تنظرين ؟ فقلت : نعم . فأقامنى وراءه . خدى على خده ، وهو يقول : دونكم يابنى أرفدة ، حتى إذا مللت قال : حسبك ؟ قلت : نعم . قال : فاذهبى .

وأخرج عنها أيضاً أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ : يا عائشة ، أما كان معكم لهو ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو .

٦ — وأخرج أبو داود فى المراسيل عن سعيد بن جبير أن النبي ﷺ صارع ركانة ، وكان رجلا شديداً معروفاً بالمصارعة والقوة ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مراراً ، فقال : يا محمد ما وضع جنبى أحد إلى الأرض ، وما أنت بالذى تصرعنى ، ثم أعلن إسلامه .

٧ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك . رواه أحمد وأبو داود .

٨ — وعن أنس رضى الله عنه قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى

مكتبتنا العربية

العضباء وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضباء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » رواه أحمد والبخارى .

٩ — وعن سلمة بن الأكوع قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق . فقال : ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان ، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ،فقال رسول الله ﷺ : مالكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم كلكم . رواه البخارى وأحمد .

* * *

هذه الأحاديث التى أسلفناها تفيد أن الإسلام دين سمح ، يساير ميول الناس ، ويتمشى مع طبيعتهم ، فلا يحول بينهم وبين ما يجلب السرور لهم ، ولا يمنعهم من وسائل الترفيه التى ترفه عنهم ، وتستخرج الهموم منهم ، كل هذا فى حرص بالغ على الفضيلة ، ونفور تام من الرذيلة .

وتأمل جيداً قول السيدة عائشة فى الحديث السابق : « ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه ، أنظر إلى لعبهم ، وقولها فى الحديث نفسه : « فأقامنى وراءه ، خدى على خده »

* * *

وإذا كانت دور السينما ونحوها تحول دون الاختلاط ، وتفصل بين الجنسين ، وتتحرى أن تعرض على روادها ما يذهب عن النفس السآمة ، ويعين على نشر الثقافة ، ويساعد على فهم الدين ، ويؤدى إلى محو الرذيلة ، ويدعو إلى إشاعة الفضيلة ، ويبث فى الشباب روح القوة ، ويقضى على أساليب الإجرام . إذا كانت دور السينما على هذا النهج . فإنها تكون خير مدرسة تعمل على تكوين جيل مثالى يتحلى بالعلم ، ويتدرع بالخلق والدين ، ويحيا حياة سعيدة لا كدر فيها ولا عناء ، وحينئذ تكون حاجتنا إلى إصلاح برامجها ومناهجها ، لتكون وسيلة إصلاح ونهوض ، بعد أن انحدرت بالأمة فى مزالق الرذيلة والشهوات ؟

محمود عبد الوهاب فايد
المدرس بمعهد منوف

مكتبتنا العربية

من الفلسفة الحديثة :

من نظريات ثورة ٢٣ يوليو

لكل ثورة فلسفة أو مبدأ سام تسير عليه ، يحدد غاياتها ، ويوجه جهودها ، ويرسم طريقها .

وقد صاغ الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه : « فلسفة الثورة » نظرية جديدة تتضمن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو ، راعى فيها أن تسير جزئياتها فى وقت واحد ، وطريق واحد ، نحو الهدف الكبير ، حتى يمكننا أن نختزل من عمر الشعب الضائع وقتاً طويلا .

وهذه النظرية تحتم أن تكون ثورتنا ثورتين : الأولى سياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترابطها وتساندها وتنكرانها لذاتها فى سبيل الوطن كله ، ونتيجتها هدم الطغيان والاستعمار .

والثانية اجتماعية ، ومن أول مظاهرها تزلزل القيم ، وتخلخل العقائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفراداً وجماعات وطبقات ، وتحكم الفساد والشك والكراهية والأنانية حتى تستقر العدالة للجميع .

وقد شبه الرئيس جمال اختلاف ظروف الثورتين وتنافرهما وتصادمهما تصادماً مروعا بشقى الرحى ، وأمدنا بسر المنفذ إلى النجاة من شقى الرحى هذين : وهو أن نحتفظ بسرعة الحركة والمبادأة ، وبالقدرة على السير فى الطريقين فى وقت واحد ، وإن كان لم يخف أننا إذا نجونا من شقى الرحى يصح أن نقع فى التناقض فى بعض تصرفاتنا .

ولكن هذا التناقض إذا وجد فإنما يوجد كنتيجة لازمة لإسراع إحدى الثورتين عن الأخرى قليلا فى الطريق الواحد ، وهو ليس بمؤثر ، بل إنه يدعونا إلى الموازنة فى سرعة الحركة حتى تنسجم نتائج الثورة .

مكتبتنا العربية

ويريدنا صاحب النظرية ألا تشغلنا الثورة الثانية الاجتماعية عن الأولى السياسية ، كما حدث فى ثورة ١٩١٩ ، وكان ذلك من أسباب فشلها ، فيجب أن نجعل فى استطاعتنا أن أن نتصرف بقدر الإمكان حتى ننجو من أن يطحننا شقا الرحى .

* * *

والسبب الكبير فى نجاح ثورتنا هو التزامنا لأصول هذه النظرية ، والسير فى ثورتين فى طريق واحد ، ودليلنا على ذلك التطبيقات الكثيرة الناجحة والتى حصلنا على نتائجها الباهرة سياسياً واجتماعياً .

وأمثلة الأولى السياسية : خلع فاروق ، وإعلان الجمهورية ، وإلغاء الأحزاب ، وإبعاد الساسة المفسدين ، واتفاق الجلاء ، ومحاربة الإرهاب .

وأمثلة الثانية الاجتماعية : تحديد الملكية ، وخفض إيجارات الأراضى الزراعية ، وإلغاء الألقاب ، ومصادرة أموال أسرة محمد على ، وأموال الغادرين والمفسدين ، ورصدها للخدمات العامة ، وإقرار تشريعات العمل ، وخلق التساوى بين العمال والفلاحين ، وتنظيم نقابات العمال ، وإنشاء النقابات الزراعية لأول مرة ، والسير فى المشروعات الإنتاجية ، وجنوح الأداة الحكومية إلى الأخذ بنظام اللامركزية وغير ذلك .

وفى هذا كله ما يدل على أن مصلحتنا أن نشد على أعصابنا ، ونمسك على أهوائنا ، ونسكت إلحاح النظريات الأجنبية على أفئدتنا ، حتى تحقق الثورة أهدافها .

ومما يدل على واقعية هذه النظرية ، وصدق اتجاهاتها ، وعلى أن ما صادف ثورتنا حتى الآن من نجاح ، راجع إلى ربطنا بين الثورتين السياسية والاجتماعية ، وسيرنا خلالها معاً فى طريق واحد .

يدل على ذلك سوقنا لمثل لم يراع فيه الجمع بين الثورتين السياسية والاجتماعية فى وقت واحد . ذلك المثل هو النظرية التى صاغها المرشال شيانج كاى شيك رئيس الصين الوطنية فى فلسفته التى سماها « حركة الحياة الجديدة فى الصين » ، وهى التى التزم فيها أن يجدد حياة الصين سياسياً واجتماعياً .

* * *

مكتبتنا العربية

وتتلخص هذه النظرية فى أن على الصين حتى تنجح أن تمتثل لفضائلها العريقة . هذه الفضائل المعروفة بـ « لن . اى . لينغ . تسن » والتى ترجم إلى « الآداب العامة . العدالة . الاستقامة . الضمير » . وهو يرى أن التزام هذه الفضائل يجعل الغاية من حركة الحياة الجديدة هى ترك الحياة المعقولة ، واستبدالها بحياة معقولة ، فهو يقول فى كتابه : « حركة الحياة الجديدة فى الصين » : « إننا نرجو أن تمسكنا بهذه الفضائل يقضى فى حياتنا اليومية على الدناءة والعنف ، فتستحيل حياة جمهوريتنا مهذبة ، وتستجيب لمبادىء الثقافة والتهذيب والذوق السليم والفن . ومن المؤمل أن العناية بهذه الفضائل تقضى على التسول واللصوصية ، فيتصف الموظفون بالأمانة والصدق وحب الوطن ، ويبطل الفساد والرشوة ، ويوجه الجمهور عنايته للمشاريع المنتجة . ومن المؤمل أيضاً أن الاهتمام بهذه الفضائل يؤدى إلى إصلاح سوء نظام المجتمع ، وفساد الحكم ، وبث العسكرية فى أبناء هذه الأمة » .

وهو يرى أيضاً أى شيانج كاى شيك ، أن كل أمة فى مرحلة الانتقال عليها أن تتنبه إلى تغيير التقاليد والعادات أكثر من التنبه إلى السياسات الجديدة نفسها ، ونجاح هذه الحركات الاجتماعية معناه نجاح السياسات الجديدة للحكومة » .

كما يقول : « وإذا أمكن للرجل أن يتحلى بهذه العادات الجديدة مبتدئا بنفسه ، فمن الممكن أن يقتدى به أفراد أسرته ، ويمكن للأسرة بدورها أن تؤثر فى جالية بأسرها ، ويلاحظ أن الحركة الاجتماعية تتمشى مع السياسة والتعليم ، وإن كانت لا تعتمد عليهما » .

وبالنظر فى هذه النظرية نجد أن شيانج كاى شيك قد جعل الصراع فى داخل الثورة الاجتماعية قائما فى داخل الفرد أولا ، ثم ينتقل إذا ما وضحت نتائجه إلى أسرته ومن ثم إلى المجتمع ، بعكس نظرية الرئيس جمال التى تجعل الصراع فى محيط الثورة الاجتماعية يقوم بين طبقات ، فهو واضح بذلك من بدايته ، تحكمه الثورة الاجتماعية بتعادل ميزان القوى بين هذه الطبقات ، حتى تستقر العدالة فيما بعد شاحبة متجلية لا تلين ولا تهتز نتائجها ، فهى نتائج جماعية لا فردية ، ظاهرة لا خافية ، تنفث خلالها النفوس ما فيها من شك وأنانية وفردية . فتبخرها الثورة بحرارتها أولا بأول ، حتى ينجلى غبار هذا الصراع عن العدالة الاجتماعية المنشودة .

مكتبتنا العربية

ومن ناحية أخرى نجد أن شيانج كاى شيك قد جعل حركته الاجتماعية تتمشى فقط مع حركته السياسية ولا تعتمد عليها ، فى حين أن نظرية الرئيس جمال تحتم الجمع بين الحركة الاجتماعية والحركة السياسية والسير بهما فى طريق واحد كأمر لازم لنجاح ثورتنا .

* * *

فنظرية الرئيس جمال تبغى إصلاح الوضع أولا بوسائل إيجابية فعالة ، فإذا ما صلح الوضع تجلت العدالة كاملة بين المواطنين ، على غير ما أرادته نظرية شيانج كاى شيك التى تريد أن تغرس العدالة فى وضع لم يصلح بعد ، ولذلك تسير ثورتنا سريعاً فى طريق النجاح باتباع أصول نظريتها ، فى حين أن نظرية شيانج كاى شيك لم تأت بما قدره هو لها من نجاح لما أسلفت ، وكانت سبباً فى أن تتكمش الصين التى كانت مساحتها ١٫٨٩٦٫٥٠٠ ميل مربع إلى حيز جزيرة فرموزا ، وتعمل الصين الشيوعية جاهدة لاحتلال اعتبارها من الدول الخمس الكبرى بعد أن تمكنت منها الشيوعية ، وهذا ما لا نرجوه لبلادنا ، وهو أيضاً يجعلنا نتمسك بأصول نظرية الرئيس جمال بعد أن تمتعنا بنتائج تطبيقاتها الباهرة ، كما أن فيها الضمان القوى ضد تسرب الشيوعية إلى بلادنا ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

السيد محمد الكشكى

متى ؟

متى أرى الشرق أدناه وأبعده ... عن مطمع الغرب فيه غير وسنان
تجرى المودة فى أعراقه طلقا ... كجرية الماء فى أفنائه أفنان
ما بال دنياه لما فاء وارفها ... عليه قد أدبرت من غير إيذان
عهد الرشيد ببغداد عفا ومضى ... وفى دمشق انطوى عهد ابن مروان
ولا تسل بعده عن عهد قرطبة ... كيف انمحى بين أسياف ونيران
فعلموا كل حى عند مولده : ... عليك لله والأوطان ديّان
حتم قضاؤهما ، حتم جزاؤهما ... فاربأ بنفسك أن تمشى بخسران

حافظ إبراهيم

مكتبتنا العربية

دراسات قرآنية :

النضرة فى القرآن

نريد أن نتعرف إلى روح الاستعمال العام لكلمة « نضرة النعيم » فى القرآن الكريم ؛ ويحسن — توطئة لذلك — أن نلم بالمعنى اللغوى لكلمة « النضرة » :

جاء فى (مفردات القرآن) الأصفهانى :

« النضرة الحسن كالنضارة . قال : (نضرة النعيم) أى رونقه : قال : (ولقاهم نضرة وسرورا) ونضَر وجهه ينضُر فهو ناضر ، وقيل نَضِر ينَضر . قال : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) ، ونَضّر الله وجهه ، وأخضر ناضر : غض حسن ، والنضر والنضير : الذهب لنضارته ، وقدح نضار : خالص كالتبر : وقدح نضار — بالإضافة — متخذ من الشجر [1] » .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وجاء فى (النهاية فى غريب الحديث) لابن الأثير :

« نضره ونضّره وأنضره أى نعّمه ، ويروى بالتخفيف والتشديد ، من النضارة ، وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق [2] » .

وفى (أساس البلاغة) للزمخشرى :

« ومن المجاز : نضر وجهه : حسن وغض ، وجارية غضة : ناضرة وغلام غض ناضر . ونضر الله وجهه وأنضره : حسنه ... وفى الحديث : (نضر الله من سمع مقالتى فوعاها [3]) ونجار نضار : خالص [4] » .

---

(١) مفردات القرآن ص ٥١٥ . (٢) النهاية ، ج ٤ ص ١٥٢ .
(٣) إنما أراد : حسن الله خلقه وقدره عن النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ١٥٢ .
(٤) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٤٥١ .

مكتبتنا العربية

وعند تتبع الاستعمال لكلمة « نضرة النعيم » فى القرآن الكريم نرى أنه لا يراد بها غضاضة العضو الغالب استعمالها فيه — وهو الوجه — بل يراد بها حسن الجملة [١] ، وهى لا تفيد الحسن الحسى فحسب ، بل تشمل كذلك سرور القلب ومتعة النفس . والمشاهد أن نضرة الحس يصحبها غالباً مسرة النفس ، لأن هذا الرونق فى جسم الإنسان يكون فى العادة نتيجة لمسرة داخلية وراحة نفسية . بل قد يحوز الإنسان المال والجاه وسلامة الأعضاء ، ولا توجد عنده نضرة النعيم ، لأن نضرة الوجه بهذا الرونق وذاك البهاء نتيجة معروفة لصفاء النفس وسرورها ، ولذلك كانت « نضرة النعيم » غاية النعيم ، وإن ظن قوم أنها جمال حسى فحسب .

ولعل هذا هو السر فى أن القرآن الكريم لم يذكر نضرة النعيم إلا ثوابا كريماً لعباده الطيبين الأطهار الذين يتلقاهم بالنعمة الكثيرة والحالة الحسنة فى روضات الجنات . ولعل هذا هو السر أيضاً فى أن يذكر القرآن مع نضرة النعيم — على طريق المقابلة — ألوانا من العذاب والعقاب لها شدتها وقسوتها ، فالملاحظ أن ذكر النضرة يأتى فى مقام المقابلة بين الثواب والعقاب ، وبين ذكر النعيم والجحيم ، فالنضرة وهى غاية فى النعيم تذكر فى مقابلة ضدها وهو غاية فى العقاب ، نصاً أو إشارة ، ويتقدم ذكر الثواب تارة ، ويتأخر عن ذكر الثواب تارة ، ولكنهما يجتمعان .

* * *

جاء ذكر النضرة فى قول الله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » [٢] .

---

(١) يقول الزمخشرى فى كشافه عند تفسير « وجوه يومئذ ناضرة » ما نصه : « الوجه عبارة عن الجملة ، والناضرة من نضرة النعيم » ج ٤ ص ١٦٥ .

(٢) سورة الانسان ، آية ٥ — ١٢ .

مكتبتنا العربية

ويحمل المعنى أن الذين بروا بطاعة الله وأداء الواجبات واجتناب المنهيات يشربون فى إناء مزاج ما فيه من الشراب كالكافور فى طيب الرائحة ، وهم يأخذون شرابهم من عين يفجرونها حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا ، أى يسيلونها ويجرونها كما أرادوا . وحق لهم هذا النعيم ، لأنهم يؤدون النذور التى كانوا ينذرونها فى طاعة الله ، ولأنهم يخافون عقاب الله فى يوم كان شره ممتداً طويلا قاسيا ، ولأنهم يطعمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم له وشهوتهم فيه ، يطعمونه ذا الحاجة والذى مات أبوه والمأسور فى الحرب ؛ وإنما يفعلون ذلك تقرباً إلى الله وطلباً لرضاه ورحمته ، لا طلبا للشكر والثناء ، ولا انتظاراً لجزاء منهم ، بل يطمعون بذلك أن يأمنوا عقاب ربهم وينالوا مثوبته . فى ذلك اليوم الشديد الهول العظيم الأمر ، العصيب الشديد ، الذى تعبس فيه الوجوه من شدة مكارهه ، وتنقبض فيه الوجوه ، ويطول بلاء أهله .

فحفظهم الله من شر ذلك اليوم ، ودفع عنهم ما كانوا يحذرون ، وأثابهم نضرة فى وجوههم ، وسرورا فى قلوبهم ، وأثابهم على صبرهم وإحسانهم جنة يتقلبون فى رياضها ، وحريرا يرفلون فيه وهم ناعمون مغتبطون . ويقول الزمخشرى هنا : « وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدى إليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنى ، وحريرا فيه ملبس بهى »[1].

وجاء ذكر النضرة فى قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة ، وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة »[2] .

أى ليس الأمر كما زعمتم من عدم البعث ، وإنما دعاكم إلى هذا محبتكم للدنيا ، وهى الدار الفانية الزائلة العاجلة ، وفضلتم أهواءها وشهواتها ولذاتها السريعة الانتهاء على الآخرة ونعيمها ، مع أن الآخرة هى دار البقاء والخلود : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » . فأنتم لذلك تقبلون على العاجلة ، وتعرضون عن الآجلة ، إلا من رحم الله وعصم ، والناس يومئذ فريقان : منهم أصحاب الوجوه الناضرة الحسنة الناعمة ، الجميلة من العبطة والسرور والنعيم . وأى نعيم أعظم من رؤية المبدع المصور البارىء الخلاق سبحانه ؟

---

(١) الكشاف للزمخشرى ، ج ٤ ص ١٦٩ .

(٢) سورة القيامة ، آية ٢٠ ـ ٢٥ .

مكتبتنا العربية

وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى خالقها ، وإن كانت أبصارهم لا تحيط به من عظمته . أو هى تنظر إلى ربها ، أى تنتظر منه ثوابها وهو رب الوفاء والصدق .

ومن الناس أصحاب الوجوه الباسرة أى المتغيرة الكالحة المسودة الكاشرة ، التى تظن أى تعلم أن يفعل بها فاقرة ، أى يصيبها داهية وينالها شر ، لأن مصيرها إلى النار ، وليس وراء النار بلاء .

ويقول الله تعالى : « إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون »[1].

أى إن الأبرار الذين برروا بتقوى الله والاستجابة له وأداء ما فرضه ، فى نعيم مقيم دائم ، فهم يجلسون على الأرائك - وهى السرر - فى الحجال من لؤلؤ وياقوت ، يتطلعون فرحين إلى ما وهبهم الله وأثابهم به على تقواهم ، ولو تطلعت لرأيت فى وجوه هؤلاء نضرة النعيم وحسنه وبريقه ، ويسقى هؤلاء من رحيق مختوم أى خمر صرف ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ، وهذا الرحيق مختوم بالمسك ، فهى طيبة الريح جميلة الطعم . وفى هذا النعيم الذى وصفناه فليتنافس المتنافسون ، أى فليتسابق المتسابقون إليه ، وليجتهد كل امرئ أن يصله ويبلغه ، فإنه المقصد العظيم الجليل .

* * *

ولتوضيح مجىء المقابلة بين نضرة النعيم والعذاب البئيس فى هذه المواضع الثلاثة التى تحدثنا عنها نقول : إن المقابل فى قوله : « إن الأبرار يشربون من كأس ... » الخ قد ذكر ثلاث مرات : ذكر قبل الآيات فى قوله تعالى : « إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا [2] » . وذكر أثناء الآيات فى قوله : « إنا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريرا [3] » . وبعد ذكر أهل النعيم وذكر الآلاء المفاضة عليهم يعود القرآن فيقول عن مقابليهم الكافرين : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا [4] » .

وفى الموضع الثانى وهو قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة ... » الخ جاءت المقابلة

(١) سورة المطففين ، آية ٢٢ - ٢٦ . (٢) سورة الانسان ، آية ٤ .
(٣) سورة الانسان ، آية ١٠ . (٤) سورة الانسان ، آية ٢٧ .

مكتبتنا العربية

بين الثواب والعقاب ، وبين أصحاب النعيم وأصحاب البؤس ، فحينما قال القرآن : « وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة » قال عقيب ذلك : « ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة » . والفاقرة هي الداهية التي تكسر الفقار ، وهي كناية عن شدة العذاب .

وفي الموضع الثالث والأخير وهو قوله تعالى : « تعرف في وجوههم نضرة النعيم » جاءت المقابلة قبل ذلك وبعده ، فقبل هذا يقول الله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين ، الذين يكذبون بيوم الدين ، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالو الجحيم ، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون » . (١)

وجاءت المقابلة بعد ذلك في قوله : « إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ، وما أرسلوا عليهم حافظين ، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » . (٢)

وكأنما اتبع القرآن الكريم هذه المقابلة بين أهل النضرة وأهل العذاب ليظهر الفرق الواسع بين هؤلاء وهؤلاء ، وليبشر الأبرار بما أعد لهم من خير وأبعد عنهم من شر ، ولينذر المجرمين بما ينتظرهم من شر وما يفوتهم من خير ، وذلك أسلوب حكيم فذ في الترغيب والترهيب وتهذيب النفوس .

اللهم هبنا نضرة النعيم يوم لقاء وجهك الكريم ...

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) سورة المطففين ، آية ١٠ ـ ١٧

(٢) سورة المطففين ، آية ٢٩ ـ ٣٤

مكتبتنا العربية

لغويات

يتفيأ المصريون ظلال النعمة

يكثر هذا الاستعمال فى هذا العصر ، وفى المنار ٦ / ٢٧١ فى الحديث عن الإنسان وأوليته ونشأته مع الحيوان : « وأنه قد أتى عليه حقبة من الدهر وهو على مقربة منها ، ينشأ نشأتها ، ويسير فى عيشه سيرتها : يتفيأ ظلال الأشجار ، ويستكن فى الجحرة والأوكار » .

وإذا رجعنا إلى اللغة نرى نص اللسان : « وتفيأت الظلالُ أى تقلبت . وفى التنزيل العزيز : تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ... وتفيّأت الشجرة وفيّأت وفاءت تفيئة : كثر فيؤها . وتفيأت أنا فى فيئها » . فترى أن التفيؤ يسند إلى الظلال فيكون معناه : تقلبها ، وهو محل التفيؤ فى الآية الكريمة ٤٨ من سورة النحل ، وقد جاء فى عبارة اللسان : تتفيأ بتاء التأنيث ، وهى قراءة أبى عمرو ويعقوب ، وقراءة عاصم وآخرين يتفيأ بالياء ، وقد يضاف التفيؤ إلى الشجرة وغيرها مما له ظل فيكون معناه : كثرة الفىء والظل ، وقد يسند إلى المستظل ، فيقال : تفيأت فى فىء الشجرة ، أى استظللت بها . وهذا الأخير هو مورد الاستعمال الذى هو موضوع الحديث ، فيجب أن يكون وفق ما جاء فى اللغة ، فيقال إذاً : يتفيأ المصريون فى ظلال النعمة . وقد بان لك أن المثال المصدر به معيب من قبل حذف الجار ، وحذف الجار - كما تعلم - يقتصر فيه على موارد السماع .

وهذا الخطأ قديم : فقد قال أبو تمام فى قصيدته فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى :

طلبتْ ربيع ربيعة المُمْهى لها ... فتفيأت ظلاً له ممدودا

وقوله : طلبت أى ناقته التى حملته إلى الممدوح . وربيع ربيعة مجاز عن خالد الشيبانى ، وشيبان من ربيعة . والممهى صفة للربيع ، وهو من أمهى النصل إذا أحده ورققه ، كأنه يريد : الذى حثها بالأمل والرجاء فيه على الإسراع إليه ، أو من أمهيت الفرس إذا أرخيت له من عنانه . وترى فى الشطر الأخير تعدى « تفيأت » إلى الظل بنفسه ، وذلك غير ما جاء فى اللسان . وإيراد الشطر هكذا هو رواية الصولى ، ورواية الخارزنجى :

فوردن ظل ربيعة الممهودا

مكتبتنا العربية

وهى سالمة من الخطأ . وقد نبه على خطأ أبى تمام الشهاب الخفاجى فى حاشيته على تفسير البيضاوى ؛ فقد قال فى ص ٣٣٦ ج ٥ : « والتفيؤ تفعل من فاء يفيء إذا رجع . وفاء لازم ، فإذا أريد تعديته عدى بالهمزة أو التضعيف ، كأفاءه الله ، وفيّأه فتفيأ ، وتفيأ مطاوع له لازم . وقد وقع فى قول أبى تمام :

وتفيأت ظله ممدودا .

متعديا . وقوله : ظله سبق لك إنشاده : ظلا له ، وكأنه قرأ تفيأت بإسناده إلى تاء الفاعل ليستقيم الوزن ، وهذا إن لم يكن من خطأ النسخ أو الطبع . ومن الطريف أن يقع الشهاب فى هذا الخطأ ؛ فقد قال فى الريحانة ٤ : « وتتفيأ العشاق فى هجير الأشواق ضاق ظلالها » . ويذكرنا هذا ـ والأمر يذكر للأمر ـ بما وقع من ابن هشام : فقد قال فى خطبة المغنى : « وهأنا بائح بما أسررته ، مقيد لما قرّرته وحررته » ، فقال الدسوقى فى كتابته عليه : « أدخل ها التنبيه على الضمير المنفصل وخبره ليس اسم إشارة ، مع أنه يمنع ذلك : كما يأتى يبينه فى حرف الهاء . وقد وقع له ذلك فى ثلاثة مواضع » .

جوال ، جوالق

يكثر فى كتابات حملة القلم فى هذه الأيام استعمال الجوال فى معنى الغرارة ، ويجمعونها على أجولة . وهم يظنون بعدولهم عن اللفظة العامية « شوال » أنهم نجوا من الهجنة . وأصابوا شاكلة الصواب . والكلمة فارسية ، وقد أدخلها العرب فى لسانهم بلفظ « جوالق » بضم الجيم وكسر اللام وروى فتحها ، ويجمعونها على جوالق وجواليق بفتح الجيم فيهما . قال الراجز :

يا حبذا ما فى الجواليق السود من خشكنان وسويق مقنود

والخشكنان يفسره داود الإنطاكى فى تذكرته بأنه « دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد وجمع وخبز . وأهل الشام تسميه المكفّن » . والسويق : الناعم من دقيق الحنطة أو الشعير المقلوّ . ومقنود : خلط به القند وهو عسل قصب السكر .

مكتبتنا العربية

واللفظ الفارسى هو جواله بالجيم الفارسية ، وهى التى تقرب من الكاف ، كما ينطق سكان القاهرة اليوم . والهاء لبيان حركة الآخر وعدم سكونه ، وتسمى الهاء الرسمية ، أى أنها تكتب فى الرسم ولا ينطق بها ، كما ذكره الشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه : « التقريب فى أصول التعريب » ص ١٢ . وقد أبدلت العرب من الجيم الفارسية الجيم ، ومن الهاء الرسمية القاف ، وهذا على حد ما قالوا فى دانه : دانق . وقد يبدلون من الهاء الرسمية جيما ؛ كما قالوا فى ساده : ساذج . وفى « الألفاظ الفارسيه المعربة » لأدى شير : « الجوالق : عدل كبير منسوج من صوف أو شعر ، معرب كواله (بثلاث نقط على الكاف . وذلك رمز الكاف الفارسية) والشوال لغة فيه » .

وقد صارت القاف فى « الجوالق » باجتماعها مع الجيم آية تعريب الكلمة ، وعدم أصالتها فى العربية ، فإن هذين الحرفين لا يجتمعان فى كلمة عربية .

وأعود إلى الجمع « جواليق » فأذكر أن زيادة الياء فيه شاذة عند البصريين ، وقياسه عندهم جوالق ، أما الكوفيون فيرون زيادة الياء فى مثله قياساً ، وقد جاء مراضيع فى مراضع ، ومطافيل فى جمع مطفل ، قال أمية بن أبى عائذ الهذلى :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعث مراضيع مثل السعالى

ومن كبار اللغويين أبو منصور موهوب الجواليقى ، ترجم له ابن خلكان ، وقال : « والجواليقى نسبة إلى عمل الجوالق وبيعها . وهى نسبة شاذة ؛ لأن الجموع لا ينسب إليها ، بل ينسب إلى آحادها ، إلا ما جاء شاذاً مسموعا فى كلمات محفوظة ؛ مثل قولهم : رجل أنصارى فى النسبة إلى الأنصار . والجواليق فى جمع الجوالق شاذ أيضاً ؛ لأن الياء لم تكن موجودة فى مفرده ، والمسموع فيه جوالق بضم الجيم ، وجمعه جوالق بفتحها . وهو باب مطرد ؛ قالوا : رجل حُلاحل إذا كان وقوراً ، والجمع حَلاحل ، وشجر عُدامل إذا كان قديماً . وجمعه عَدامل ، ورجل عراعر وهو السيد ، وجمعه عراعر ، ورجل علاكد إذا كان شديداً ، وجمعه علاكد ، وله نظائر كثيرة » . وقد علمت أن زيادة الياء فى الجواليق مقيسة عند الكوفيين . وكذا النسب إلى الجمع على لفظه مقيس عندهم .

وهنا قد يسأل سائل : إذا كانت اللفظة فارسية الأصل ، وحظ العرب تعريبها فالجوال

مكتبتنا العربية

أقرب إلى الأصل الفارسيّ وأدنى إلى المزاج العربى من الجوالق ، فكان تولك أن تقر الجوال أو الشوال ولا تعيبه على العامة ولا على حملة القلم .

والجواب أن « الجوالق » تعارفها الناس فى القديم وألفوها ودونت فى المعاجم ، فينبغى المحافظة عليها ، وعدم الجرى وراء كلمة لم يكتب لها الدخول فى لسان العرب وفى معاجمهم .

لا بد وأن . . . كما وأن . . .

كتب السيد الأستاذ أحمد نصيب المحاميد من فضلاء دمشق إلى المجلة فى هذه العبارة : « لا بد وأن . . . » وذكر أنها تكثر فى الصحف اليومية والمجلات ، وأنه لا يرى للواو مكاناً هنا ، وأنه يجب أن يقال : لا بد أن . . . والسيد المحاميد على حق فى نقده ، والوجه طرح الواو والإتيان بالحرف « من » أو حذفه ، كما هو معروف . غير أنه يمكن تخريج الأسلوب المنقود بجعل الواو مزيدة ، وزيادتها مقيسة عند الكوفيين وبعض البصريين . وفى المغنى لابن هشام فى أقسام الواو : « والثامن واو دخولها كخروجها ، وهى الزائدة ؛ أثبتها الكوفيون والأخفش وجماعة . وحمل على ذلك حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها بدليل الآية الأخرى ، وقيل : هى عاطفة . . . والزيادة ظاهرة فى قوله :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظاً ويبنى من سفاهته كسرى

وقوله :

ولقد رمقتك فى المجالس كلها ... فإذا وأنت تعين من يبغينى

اهـ . وقال فى الإنصاف (المسألة ٦٤) : « ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد . وأبو القاسم ابن برهان من البصريين . وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز . أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الواو يجوز أن تقع زائدة أنه قد جاء كثيراً فى كلام الله تعالى وكلام العرب » .

وبهذا التخريج يمكن أن يصحح قولهم : « كما وأن . . . » فالواو مزيدة ، أى كما أن . . .

ومع هذا ينبغى الرجوع إلى الأسلوب الفصيح وترك بنيات الطريق ؟

محمد على النجار

مكتبتنا العربية

اجلاء يهود بنى النضير

تطبيق بارع لمبدأ الوقاية

سمينا الفترة التى أعقبت غزوة أحد بفترة تطبيق مبدأ الوقاية ، وهو مبدأ من مبادىء الحرب ، فقد حتمت ظروف هذه الفترة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحرص الحرص كله على وقاية دينه وأمته وجيشه من كل عدوان .

وقد بينا أن الخطة التى رسمها النبى فى ذلك نجحت كل النجاح ، فقد رأينا كيف قضى صلى الله عليه وسلم على غارات أعدائه جميعاً ، وهى بعد فى مرحلة الإعداد ، فأمن بذلك مفاجأتهم له ، وبقى أن نعرف كيف كان موقفه مع اليهود ، وهو ما رأينا أن نتحدث عنه على حدة .

ولقد حدثت فى هذه الفترة حادثتان أشفق النبى صلى الله عليه وسلم بواسع فطنته من أن يشجع ما أصاب المسلمين فيهما أعداءهم اليهود والمنافقين على الاستخفاف بشأن المسلمين ، الأمر الذى كان النبى ﷺ يخشاه ، فليس أشد خطراً على المسلمين يومئذ من أن تضعف فى نفوس مساكنيهم فى المدينة هيبتهم .

ولذلك اقتضاه حرصه على مبدأ « الوقاية » أن يعالج الموقف بكل حزم ، بعد أن كشف الله له عن مقاصد اليهود وما يبيتون له من القضاء عليه ، فوجد أن الحل الأمثل هو التخلص منهم بإجلائهم كما سنبين بعد .

يوم الرجيع : [1]

كان مقتل سفيان الهذلى على يد عبد الله بن أنيس الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ بأمر النبى ضربة قاسية لبنى لحيان ، ففكروا فى الثأر ، واتفقوا على أن يكون الثأر بمكيدة ، كما قتل زعيمهم بمكيدة .

فائتفقوا مع عضل والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون ، وجعلوا لهم إبلا ، على أن يكلموا رسول الله ﷺ أن يخرج لهم نفراً من أصحابه

[١] فى صفر من السنة الرابعة للهجرة .

مكتبتنا العربية

فقدم سبعة من القبيلتين مظهرين الإسلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ... فبعث معهم الرسول ستة من الصحابة [١] فلما بلغوا الرجيع [٢] غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم ، فلم يدر الصحابة إلا والرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل .

فلم تثبط هذه المفاجأة المرعبه من عزم المسلمين الستة بل استلوا سيوفهم ليقاتلوا ، لكن المشركين قالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . قالوا ذلك لأنهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ليفوزوا بالمكافأة .

لم يقبل ثلاثة من المسلمين هذا القول وقاتلوا حتى قتلوا ، أما الثلاثة الباقون فقد نزلوا على العهد ، غير أن المشركين غدروا بهم وربطوهم بأوتار أقواسهم ، ثم قتلوا واحداً وباعوا الاثنين بمكة ، وكان منهما خبيب بن عدى ، اشتراه بنو الحارث لأنه هو الذى قتل عامر بن نوفل فى بدر . .

ولقد كانت قصة مصرع خبيب من أروع قصص البطولة والشجاعة والإيمان ، فإنه لما خرجوا به لقتله سألهم أن يدعوه يصلى ركعتين فصلاهما ، ثم توجه إليهم وقال : لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . .

وقتلوه أشنع قتلة ، فقد جمعوا أربعين بأيديهم الحراب والرماح ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر ، وقالوا لهم : هذا الرجل قتل آباءكم ! فانهالوا عليه طعنا وضربا حتى مات . ويروى عنه أنه قال قبل موته قولته المشهورة .

ولست أبالى حين أقتل مسلماً ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

سرية بئر معونة [٣]

والحادثة الثانية حدثت بينما المسلمون فى حزنهم على أصحابهم الستة الذين ذهبوا ضحية الغدر ، إذ قدم أبو براء عامر بن مالك على النبى - صلى الله عليه وسلم - فعرض عليه الإسلام

(١) ويقال عشرة من الانصار والمهاجرين .
(٢) اسم ماء لهذيل بين مكة والطائف .
(٣) اسم لموضع بين مكة وعسفان .

مكتبتنا العربية

ولكنه لم يسلم ولم يظهر الإسلام عداوة وقال : « لو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك » . فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان من أمر الصحابة الستة ، وخشى على أصحابه من أهل نجد ، وذكر ذلك لأبي براء ، فتعهد هذا بأن يحميهم ويجيرهم وقال : « أنا لهم جار » .

فبعث الرسول المنذر بن عمرو ومعه أربعون من خيار المسلمين ، فلما وصلوا إلى بئر معونة قام عامر بن الطفيل وهو ابن أبي براء فاستصرخ بعض القبائل من بنى سليم ، فأحاطوا بالمسلمين فى رحالهم وقتلوهم جميعاً إلا واحداً تركوه وبه رمق فعاش ولحق بالمدينة ، وواحداً أسر ثم أطلق .

غزوة بنى النضير [1]

أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن ما أصاب المسلمين فى هاتين الحادثتين ، سيشجع اليهود على الاستخفاف بأمر المسلمين ، وكشف الله سبحانه وتعالى أمامه نيات اليهود ، فقد ذهب إلى يهود بنى النضير فى عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وعلى ، وطلب إليهم أن يعينوه فى دية قتيلين من بنى عامر قتلهما عمرو بن أمية خطأ . . وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر تحالف وجوار ، فأظهروا للرسول قبولا ورغبة فى الإجابة ، ثم خلا بعضهم ببعض وذكروا مقتل كعب بن الأشرف ، وسرت فيهم روح الانتقام والغدر وقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفرداً ليس معه من أصحابه إلا نحو العشرة ، وكان الرسول قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم فقالوا : من يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ، فتطوع لذلك عمرو بن جحاش بن كعب اليهودى وصعد ليلقى عليه الصخرة .

دبر اليهود هذه المكيدة فيما بينهم ، ولكنهم نسوا أن الله حافظ لرسوله ، إذ كشف له ما أراد القوم به ، فقام عليه الصلاة والسلام مظهراً أنه يقضى حاجة ، وترك أصحابه فى مجالسهم وطفق عائداً للمدينة مسرعاً . .

أما اليهود فقد أرتج عليهم ، وحاروا فيما يقولون لأصحاب محمد أو فيما يصنعون بهم . ولما طالت غيبة الرسول عن أصحابه قاموا فى طلبه حتى بلغوا المدينة فوجدوه ، فقالوا :

(١) فى شهر ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية .

مكتبتنا العربية

« قمت ولم نشعر ؟ » فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به وأمرهم بالتهيؤ للقتال . وهكذا اتضحت لرسول الله نيات اليهود نحوه، فعد ذلك نقضاً لما بينه وبينهم من عهد ، وبعث إليهم محمد بن مسلمة وقال لهم :

« إن رسول الله أرسلنى إليكم أن اخرجوا من بلادى ، فلا تساكنونى بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً : فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه » .

حارت بنو النضير فيما تصنع وقد انكشف أمرها لمحمد ﷺ ، فأرسل إليها هذا الإنذار الشديد ، وفى هذا الوقت أرسل عبد الله بن أبى (ابن سلول) إليهم يحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدعوهم إلى البقاء فى ديارهم ، وزعم لهم أن لديه ألفين من رجاله على استعداد لنصرتهم ، فشجع ذلك حيى بن أخطب كبير اليهود على أن يبعث إلى الرسول يقول : « إنا لن نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك » ، وأمر بالحصون فرممت ، وبالحجارة فأحضرت وجمعت فى الأزقة . وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم .

كان بين اليهود وبين المدينة نحو ميلين ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه فحاصر اليهود فى ديارهم عشرين ليلة ، وعمد إلى خطة بارعة تعد ضربة قاصمة لليهود ، وهى حرق نخيلهم ، فقضى بذلك على أسباب تعلقهم بأموالهم وزروعهم ، لتزول حماستهم للقتال .

نجحت الخطة ، وأدرك اليهود اليأس ، وخاصة بعد أن أخلف عبد الله بن أبى وعده بنصرتهم ، وكذلك لم يعنهم أحد من العرب ، فأرسلوا إلى النبى ﷺ أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم :

« اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة » . (وهى الدروع والسلاح) فرضوا بذلك ، وطفقوا يجمعون ما شاءوا من مال أو طعام ، وقصد بعضهم خيبر ، وسار الآخرون إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام .

وخلفوا وراءهم أسلحتهم والأرض التى كانوا يملكون .

الإجلاء تطبيق بارع لمبدأ الوقاية :

من هذا نرى أن خطة النبى ﷺ بإجلاء اليهود كانت خطة بارعة اقتضاها الحال الذى كان عليه المسلمون .

مكتبتنا العربية

وغير خاف ما كان فى بقاء اليهود من خلق الفتن وإثارة الشكوك ، وكانوا سيصبحون عدواً ثانياً بالإضافة إلى العدو الأول قريش ، الأمر الذى كان سيرغم الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال عدوين .

ثم إن المنافقين كانوا يعتمدون على نصرة اليهود لهم فى مناوأة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جلا اليهود هبطت حميتهم ، وفترت عزيمتهم ، ولم يعد لهم ذلك المركز الذى كانوا فيه من قبل .

لقد كانت هذه الخطة إذن ضربة صائبة ، وحجراً أصاب عصفورين : قضى على اليهود ، وعلى المنافقين فى وقت معا .

ولا شك أن الرسول ﷺ اطمأن بعد ذلك واستراح مما كا يشغله من أمرهما ؟

محمد جمال الدين محفوظ

نشيد اسلامى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إيه يا أمة خير المرسلين ... آن أن تنهض بين الناهضين
آن أن نرجع عهد الراشدين ... مثلما قد كان فى دنيا ودين
من له العرب اليمامين جدود ... لهو أحرى للبرايا أن يسود
وخليق عن حمى الدين يذود ... كذياد الأسد من حول العرين
كيف يعرونا خمول ووهن ... والورى يصلى لظى نار الفتن
من سوانا يدفع الراية من ... يرجع العالم للحق المبين
بين أيدينا تعاليم الكتاب ... خير منهاج لمن ضل الصواب
أدركت مغزى معانيها الصحاب ... فاستووا فوق عروش العالمين
نحن إن لم نتقدم للأمام ... ونعد سيرتنا بين الانام
فعلى الدنيا . على الدنيا السلام ... أى معنى لحياة الخاملين !

عبد الرحمن نجا
سكرتير محكمة طنطا الابتدائية الشرعية

مكتبتنا العربية

تعليقات

كنت كتبت فصولا موجزة عن العذراء القانتة السيدة مريم ، ونشرتها هذه المجلة .

وذات يوم حضر إلى مكتبي فى إدارة الأزهر السيد الفاضل ر . فوكا من علماء الدين المسيحيين ، وأبدى ارتياحه لتلك الفصول التى نشرناها ، واعتبرها إنصافاً فى إيضاح الحقائق العلمية .

وقدم إلينا تعليقاً مكتوباً بالفرنسية بمجلة « ريون ديجبت » - شعاع مصر - يسجل فيه رأيه ، ثم صارحنا بشكره وشكر آخرين ممن قرأوا أو سمعوا بما كتبنا .

والرأى عندى أننى لا أستحق شكراً على ذلك ، وإنما هى أمانات علمية يقتضينا الإسلام أن نبلغها لمن لم تبلغه ، وأن نوضحها لمن ينتفع بإيضاحها .

وفيها من التوجيهات الأدبية والدينية معاً أن أدب الإسلام لا يرتضى العصبية التى تباعد بيننا وبين الإنصاف ، وأن تمجيد مريم وعيسى - عليهما السلام - مما عنى القرآن بذكره كثيراً ، وأن العقيدة الإسلامية لا تتم إلا بالإيمان بجميع الرسل دون تفريق بين أحد من رسله ، إلى آخر ما جاء فى كلماتى .

وتقديراً لما أبداه العالم الدينى المسيحى ر . فوكا نحو ما كتبناه ننشر كلمته التالية ، ونحن على ما ندين به من الحق الذى لا ترقى إليه الشبهات .

عبد اللطيف السبكى

العذراء القانتة [1]

لقد كانت مفاجأة سارة أن نقرأ فى مجلة الأزهر ، ذلك المعهد الدينى الكبير ، والمركز الروحى والثقافى للعالم الإسلامى - أن نقرأ - سلسلة مقالات ، أو بالأحرى سلسلة دراسات قيمة عن القديسة مريم العذراء ، وأن تكون هذه المقالات فى نهاية هذا العام الهجرى (الميلادى) [فى ٢٤ سبتمبر و ٢٤ أكتوبر و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٤] .

---

(١) ترجم هذا المقال الدكتور خليل مدكور .

مكتبتنا العربية

لقد أخذت هذه المجلة على نفسها أن تعالج بعض المسائل القرآنية ، وبدأت منذ وقت قريب أن تدرس بصفة خاصة الشخصيات البارزة التى وردت أسماؤها فى القرآن ، وكان من الطبيعى أن يكون من بين تلك الأسماء اسم السيدة مريم العذراء ، إذ أنها تحتل مكاناً عظيماً فى نفسية المسلمين .

ولقد كان من حسن المصادفة أن تكون دراسة شخصيتها فى مجلة الأزهر فى نهاية هذا العام المارى (الميلادى) .

ومما تجب ملاحظته أن كاتب ذلك البحث هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى الذى هو عضو بالمجمع العلمى للأزهر ، أو بعبارة أصح عضو بجماعة كبار العلماء الذين يمثلون أكبر سلطة دينية فيه .

هذا وليس من الطبيعى أن ننتظر من أحد فقهاء المسلمين أن يسلم على طول الخط بما ندين به ـ نحن معشر المسيحيين ـ من العقائد المسيحية البحتة ، فيما يختص بالمسيح ، وبأمه مريم العذراء ، إذ أن الإسلام يرى أن مريم هى أم المسيح الذى ليس « ابنا لله » .

هذا ولقد عالج الأستاذ هذا الموضوع بكل دقة من الوجهة الدينية ، مع كثير من رقة الذوق ، وحسن المراعاة ، مما يدعو القارىء إلى أن يتأمل ويتدبر مثله فى شخصية تلك العذراء الفائقة التى ملكت عليه مشاعره بفضلها وحسن خلقها .

ولقد أحيطت هذه القصة ببعض الروايات الطريفة ، والتقاليد المعروفة لدى المسلمين ، والتى لاتقرها الكنيسة الكاثوليكية ، وإن كانت فعلا رائجة عند المسيحية إبان القرون التى سبقت ظهور الإسلام ، ولا زالت مذكورة فى بعض الأناجيل المشكوك فيها .

هذا ـ فإذا ما تقرر هذا ، وتبين لنا أن شخصية السيدة مريم العذراء قد احتلت هذا المكان الممتاز فى القرآن وفى السنة ، فإنه يخيل إلينا أن هذا المقال قد جاء بشىء جديد ـ أو على الأقل ـ قد جاء بحقائق كانت معروفة من قبل إلا أنها لم تكن بهذا الوضوح ، وبهذا البيان والتعمق ... ...

مكتبتنا العربية

وقد جاء بالمقال أمران جديران بالذكر ، ويسترعيان التأمل بصفة خاصة . وهما :

أولا : التأكيد بأن مريم العذراء لم تكن قمينة بالإكبار والتعظيم فحسب ، بل كانت مثلا كريماً يهتدى به ويسار على نهجه .

ثانياً : هو تساؤل صاحب المقال لمَ لم يكن كل الناس قد اختصوا بكل فضائلها الفريدة فى ذاتها ؟

هذا - ومن الجلى أن نجد من السهل الجواب على هذا التساؤل فى الإرادة الإلهية التى لا نستطيع سبر غورها ، ولكن هذا يدعونا إلى الكثير من البحث والتعمق ، لأننا لا زلنا نسير فى طريق كله غموض .

ولقد قرر الكاتب الكبير بحق أن فضل السيدة العذراء يرجع إلى أمومتها المجيدة لوليدها المسيح .....

« فلندع مريم أن تعرفنا بشخصيتها أكثر فأكثر هى وابنها ! »

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ليس حديثا نبويا

قيل إن قسيس كنيسة بطرس غالى ألقى فيها عظة دينية تناول فيها الكلمة المشهورة « اتق شر من أحسنت إليه » بالشرح والتفسير باعتبار أنها حديث نبوى ، وقد أثنى كاتب فى إحدى الصحف اليومية الصباحية على ذلك وأبدى سروره من أن أحد رجال الدين المسيحى يعظ بحديث نبوى إسلامى من فوق منبر الكنيسة .

ولكن الحقيقة التى يعرفها علماء السنة من المسلمين أن كلمة « اتق شر من أحسنت إليه » ليست حديثا نبويا ، وكان بعض أعلام المسلمين يرون أنها تصد عن عمل الخير ، فمن الخير أن يعلم الناس أنها لا تعرف فى كتاب من كتب السنة المعتبرة .

مكتبتنا العربية

الكتب

المصلحة فى التشريع الاسلامى

ونجم الدين الطوفى

للأستاذ مصطفى زيد - ٢٧٥ ص - دار الفكر العربى بمطبعة لجنة البيان العربى

الإسلام دين الفطرة ، وقد قام فى رسالته على دعامتين من دعائم الفطرة : « الحق » و « الخير » ، فكل ما وافق الحق صرفاً والخير خالصا فالإسلام يقره . و« المصلحة » إذا التقت بالحق والخير كانت من أهداف الإسلام ، ولأنها من أهدافه لا نجد فى نصوصه ما يخالفها ، فإذا اختلفا وجب على أهل الفقه والحجى أن يطيلوا الدراسة والتفكير فيما يظنونه « مصلحة » وسيجدون أنفسهم فى النهاية مخطئين فيما ظنوا ، فالنص الإسلامى إن أجحف بمصلحة هزيلة فذلك لا يكون إلا لحماية مصلحة عامة شاملة . ومن هنا زلت قدم الذكى المتوثب الجرىء نجم الدين الطوفى الذى يقول عن نفسه :

حنبلى رافضى ظاهرى أشعرى ، إنها إحدى الكبر

فذهب فى شرحه حديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وهو الحديث الثانى والثلاثون من الأربعين النووية إلى أن النص والإجماع إذا خالفا المصلحة وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما والتعطيل لهما . وهنا موقف دقيق فى التوفيق بين المخالفة والتخصيص ، فالتخصيص ينبغى أن يعتمد على نص آخر ، وحينئذ يكون تقديم المصلحة على النص بنص آخر لا بترجيح المصلحة على النص ولا سيما إذا انضم إليه الإجماع . وقد تقدم لنا الكلام على (الطوفى) والمصلحة فى هذه المجلة (م ٢٤ ص ٦٩٥ - ٦٩٧) .

وقد تفرغ لدراسة هذا الموضوع الأستاذ المحقق الفاضل مصطفى زيد الذى سبق لنا التنويه بتفسيره سورة « الأنفال » (م ٢٥ ص ٣٧٥) فألف أخيراً كتاب (المصلحة فى التشريع الإسلامى - ونجم الدين الطوفى) ونال بهذا الكتاب درجة الأستاذية فى الشريعة الإسلامية بمرتبة الشرف الممتازة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ولم يقصر فى نقد رأى (الطوفى) وخطأه فى ترجيح ما يظنه المصلحة على النص ، غير أنه حاول أن يلطف من نصوص التاريخ فيما يتعلق بذيذبة الطوفى بين المذاهب ، وحمل ذلك على أنه

مكتبتنا العربية

من حرية الفكر . غير أن العالم الجليل الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وكيل كلية الحقوق فى جامعة القاهرة وأستاذ الشريعة الإسلامية فيها - وهو أحد الذين ناقشوا هذه الرسالة عندما تقدم بها المؤلف إلى كلية دار العلوم - قال فى مقدمتها بعد أن أثنى على المؤلف بما هو أهله : « إننا فى المناقشة أخذنا عليها مآخذ نشأت من السير السريع ، وأبرز هذه المآخذ وأوضحها هى فى محاولة تبرئة الطوفى من التشيع ، فإن النصوص التى نقلها مستشهداً بها لنفى التشيع تطوى فى ثناياها دليل إثباته ، وكل نص ساقه دليلا للنفى هو فى مغزاه ومرماه وباعثه دليل الإثبات » . وبهذا التقينا مع الأستاذ أبى زهرة فيما سبق لنا تسجيله عن مذهب الطوفى قبل سنتين ، كما التقينا مع الأستاذ مصطفى زيد فيما نقده من زلل الطوفى فيما رجح به مايظنه مصلحة على النص حتى لو كان مقروناً بالإجماع . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الإمامية لا يقولون بالإجماع كما يعرفه المسلمون ، ولذلك لم يقم له الطوفى وزناً حتى مع النص إذا خالفتهما المصلحة المزعومة .

ومما زاد فى قيمة كتاب الأستاذ مصطفى بدر أنه ألحق به نص شرح الطوفى على حديث « لا ضرر ولا ضرار » منقولا من شرحه للأربعين النووية ومزيناً بصور شمسية لبعض صفحات الأصل الذى نقل عنه .

بحث فى مشكلة التسول والمتسولين

لفضيلة الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبى - ٦٤ ص - مطبعة الإمام بالقاهرة

هو بحث فى مشكلة التسول ، وأن منشأه الفقر وما كان من ضغط الاستعمار وظلمه وأساليبه وتحكمه فى أقوات الشعب ، وأن من مساوىء التسول الفردية ذهاب الحياء وفقدان الكرامة وعزة النفس ، ومن الناحية الاجتماعية وجود طائفة تعيش عالة على المجتمع ، وتعطيل قواها عن العمل ، وأنها عنوان للتأخر والانحطاط . وأن الحكم الشرعى فى التسول أنه حرام على من استطاع أن يستغنى عنه بالعمل ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن المسألة لاتحل لغنى ، ولا لذى مرة (أى قوة) سوىّ » ، وقال : « من سأل وعنده مايغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم » ، قالوا : يارسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : مايغديه ويعشيه . وأنه يحرم على المرء أن يسأل وهو يستطيع العمل . وقال المؤلف فى علاج التسول أن يبين للناس هدى الإسلام فيه ، وأن ييسر للمعدم طريق العمل . والإسلام دين يحث على العمل ، وعلى الجهاد فى كسب الرزق ، وتراث الإسلام حافل بالحث على ذلك وتوجيه الأمة إليه . وقد ختم المؤلف رسالته بكلمة بليغة للحافظ ابن رجب فى شرح وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، وهى التى يقول له فيها : « وإذا سألت فاسأل الله » . وهو أمر بإفراد السؤال لله ، ونهى عن سؤال غيره من الخلق .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

مدارس للأبناء العرب
فى الدول الأجنبية

تولد لأصحاب المصالح التاجرين إلى البلاد الأجنبية مواليد فينشأون فى وسط غريب عنهم بلغته ودينه ، حتى إذا بلغوا أشدهم وجرفهم تيار الغربة لا يبقى لهم من مقوماتهم الجنسية والإسلامية إلا أنهم أبناء أسر عربية إسلامية ، وقد رأينا أثناء الحرب العالمية الثانية ضباطاً فى الجيش الأمريكى والجيش الأوسترالى يبحثون عمن يعرف ذويهم فى البلاد العربية الإسلامية التى نزح آباؤهم عنها إلى أمريكا أو أوسترالیا . وهم فى حزن شديد لأنهم يجهلون العربية والإسلام .

وقد لاحظت جامعة الدول العربية هذا الأمر فأعدت الإدارة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة العربية مشروعا لإنشاء مدارس عربية فى بلاد الدول الأجنبية التى يكثر فيها المهاجرون إليها من بعض البلاد العربية لتعليم أبناء هؤلاء المهاجرين ما يحفظ لهم عروبتهم وإسلامهم ، كما تفعل الدول الأجنبية فى بلاد الشرق من إقامة المدارس لأبناء جالياتها لهذا الغرض . وسيبدأ بتنفيذ هذا المشروع فى ألمانيا وبريطانيا والشمال الشرقى من بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ثم الدول الآسيوية وأمريكا الجنوبية .

دائرة معارف اسلامية

أعلن شودرى على أكبر وزير معارف البنجاب فى الجمعية التشريعية نبأ اعتزام جامعة البنجاب إصدار دائرة معارف عن الإسلام باللغة الأوردية ، وأن حكومة الإقليم ستقدم لهذه الجامعة إعانة مالية لإتمام هذه الدائرة الحافلة بالمراجع عن الإسلام . ومما يستحق الإعجاب أن حكومة إقليم البنجاب تتقدم خطوات فى طريق التوسع فى الدراسات الإسلامية .

فلسطين
فى مؤتمر التعليم الإلزامى

وافق مؤتمر التعليم الإلزامى للبلاد العربية على التوصية بالمزيد من العناية والاهتمام بتعليم المعلومات التاريخية والجغرافية عن فلسطين فى جميع الدول العربية ، والاتصال بالدول العربية غير الممثلة فى الجامعة العربية لتطبيق ذلك .

وأوصى بأمور أخرى تعليمية تتعلق بأبناء اللاجئين الفلسطينيين ، ومنها العناية بتعليمهم التعليم المهنى .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

نقول ولا نعمل

قال حاكم باكستان العام لمناسبة افتتاح مؤتمر الشباب المسلم الذى انعقد فى كراتشى :

« إن مصدر ضعف الأغلبية العظمى من المسلمين هو أنهم يتحدثون عن الإسلام أكثر مما يطبقونه فى حياتهم العملية . وأن معرفتهم بتعاليمه وارتباطهم بها لم تتعد ماينطقونه بألسنتهم ، ولم يكونوا جادين فى أى وقت فى عباداتهم . فالإسلام الصحيح كان الرباط الوثيق الذى يجمع شملهم ويجعل منهم أسرة واحدة كبيرة قوية . أما الآن فقد تركوا الدين إلى الدنيا ، فانحل هذا الرباط الذى كان بينهم ، وتمزق شمل أسرتهم وتفرق أهلها شيعا وأحزابا ، فتبدلت قوتهم ضعفا ووحدتهم تفككا ، وأسدل الزمن على مجدهم وقوتهم الماضية ستاراً كثيفا . ولذلك كان لزاما علينا أن ننظر لماضينا كى نستلهم منه القوة والحيوية التى تمكننا من الحياة فى هذا العالم المضطرب ، ولنتحقق من أن اتباع تعاليم الدين الإسلامى كان مصدر قوتنا الماضية ، وأن تخلى المسلمين عنه هو مبعث ضعفهم الحاضر . أما إذا عدنا إلى تطبيق تعاليم الإسلام بحذافيرها وبروحها الصحيح ، فإن ذلك سيقودنا بلا شك إلى حياة كريمة عمادها الإيمان والعدل والإخلاص .

لطخة عار فى جبين الانسانية

أذاع السيد فارس الخورى رئيس الوزارة السورية بيانا عما دار فى الأمم المتحدة من مؤامرات ودسائس قبيل صدور قرار تقسيم فلسطين ، وقد جاء فى البيان :

« إن هذا القرار جريمة اقترفتها الأمم المتحدة ، وستبقى لطخة عار على جبين الإنسانية . وقد بذل ترومان من الجهد ما لا يوصف ، هو والعصابة الصهيونية الدولية ، حتى أكرهوا الدول الصغيرة على الوقوف إلى جانبهم » .

دخول سوريا بلا تأشيرة

وافق مجلس الوزراء السورى على مشروع قانون بإلغاء تأشيرة الدخول إلى سوريا بالنسبة لجميع رعايا الدول العربية . وأعلن وزير العدل بدمشق أن سوريا تريد أن يشعر المواطنون العرب إذا انتقل الواحد منهم من بلاده إلى سوريا بأنه لا يزال فى وطنه .

مكتبتنا العربية

البترول فى سيناء

وفقت الجمعية التعاونية للبترول إلى اكتشاف بئر بترولية جديدة فى (بلاعيم) من الصحراء الشرقية ، وهى بئر غنية بالبترول ، يبلغ الإنتاج اليومى من بترولها الخام نحو ٢١٧٠ برميلا ، أى ما يوازى نحو ٣٠٠ طن فى اليوم ، وهذه البئر خامسة آبار البترول التى ظهرت فى شبه جزيرة سيناء ، وقد عثر على خام البترول فى هذه المنطقة عند عمق ٧٣٢٤ قدما حيث تفجرت ينابيع البترول المتدفق ذاتيا فى الأقدام الأربع والعشرين الأخيرة ، ويقدر الإنتاج السنوى لهذه البئر بثلاثة أرباع مليون طن يبلغ ثمنها - على أساس سعر البترول المستورد - نحو ١٤ مليون جنيه بالعملة الصعبة .

ومنطقة بلاعيم التى ظهر فيها البترول الآن تبعد نحو ٢٠ كيلو مترا عن حقل بترول وادى فيران ، وبالقرب من ساحل خليج السويس الذى تفجرت ينابيع البترول على ساحليه فى السنوات الأخيرة ، إذ اكتشف على ساحل شبه جزيرة سيناء حقل بترول وادى فيران ، وقبله اكتشف حقل بترول رأس مطارمة وعسل وسدر ، واكتشف منذ سنوات بعيدة حقل بترول رأس غارب ، وقبلها حقل بترول الغردقة ، وحقل جمسة .

والمنتظر من الآن أن تسد بلاد الجمهورية المصرية حاجتها للبترول بما تنتجه محليا .

تحريم القمار

انتهت وزارة العدل من وضع مشروع بقانون يقضى بتحريم لعب القمار على المصريين ، وإنقاذ مصر من أنديته ، والاقتصار على أندية محدودة العدد فى مناطق السياح الأجانب بحيث يكون دخولها مقصوراً عليهم بإبراز جوازاتهم لمن يراقب الداخلين إلى هذه الأندية . وقد أحسنت الحكومة كل الإحسان إلى هذا الوطن الذى كان منكوبا بكثير من بؤر الفساد منذ كان ضحية لنظام الامتيازات الأجنبية ، ومنها هذه الأندية التى طالما هدمت بيوتاً ودفعت رجالا إلى الانتحار بما دخل على نفوسهم من اليأس بضياع تراثهم على تلك الموائد الغادرة الفاجرة .

الى مؤتمر الشباب الاسلامى فى كراتشى

سافر بطريق الجو إلى كراتشى ٥٢ شابا من شباب الأزهر والجامعات المصرية قاصدين عاصمة باكستان لتمثيل شباب مصر فى مؤتمر الشباب الإسلامى الذى عقد فى العشرة الأيام الأولى من السنة الشمسية الجديدة ، ومن هؤلاء الممثلين لمصر فى المؤتمر مدير متحف الفن الإسلامى واثنان من مساعديه .

وقد ودعهم فى مطار القاهرة الدولى القائمقام أنور السادات وزير الدولة والسكرتير العام للمؤتمر الإسلامى .

فهرس

الجزء العاشر — المجلد السادس والعشرون

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
٥٤٥	بين العلم والثقافة	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٥٤٩	نفحات القرآن : المتكلمون فى المهد	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٥٥٣	نصرة الله لأوليائه	« محمود فهمى العقدة المدرس بكلية اللغة العربية
٥٥٧	الدخيل وكتب التفسير	« محمد محمد أبو شهبة
٥٦١	قتيبه بن مسلم	« محمد رجب البيومى
٥٦٦	الشجاعة فى نظر الاسلام	« زكى سويلم
٥٧٠	مشكلة التشرد	« أحمد طه السنوسى
٥٧٥	كيف عالج الاسلام الجريمة	« محمد حافظ المدرس بمعهد الاسكندرية
٥٧٩	دور الهو والسينما	« محمود عبد الوهاب فايد
٥٨٢	من نظريات ثورة ٢٣ يوليو	« السيد محمد الكشكى
٥٨٦	النضرة فى القرآن	« أحمد الشرباصى
٥٩١	لغويات	« محمد على النجار
٥٩٥	اجلاء يهود بنى النضير	« محمد جمال الدين محفوظ
٥٩٩	نشيد إسلامى	« عبد الرحمن نجا سكرتير محكمة طنطا الشرعية
٦٠٠	تعليقات « العذراء القانتة »	« عبد اللطيف السبكى مدير المجلة
٦٠٣	الكتب	المجلة
٦٠٥	الأدب والعلوم	«
٦٠٧	أنباء العالم الاسلامى	«

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

تصدر عن مشيخة الأزهر

مرتين فى كل شهر عربى

سنتها ٢٠ عددا

متعهدو الجملة فى الخارج

شركة التوزيع العمومية

٥٩ شارع الجمهورية بالقاهرة

شركة فرج الله للصحافة والتوزيع

شارع ابراهيم باشا بالقاهرة

الثمن ٢٠ مليما

مطبعة الازهر